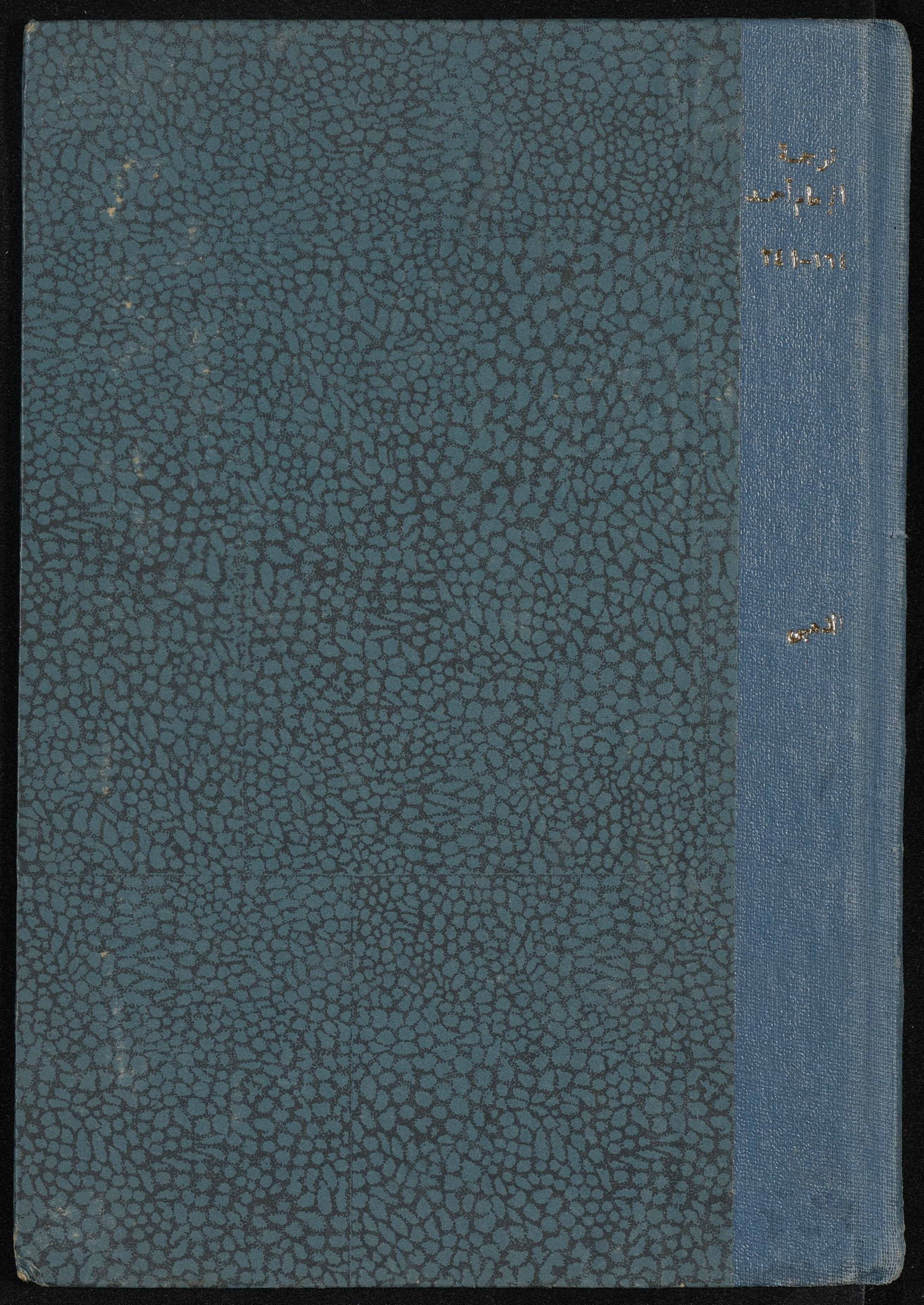

ترجمة
الإمام أحمد
١٦٤-٢٤١
الذهبي



وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

ترجمة الإمام أحمد

١٦٤ - ٢٤١

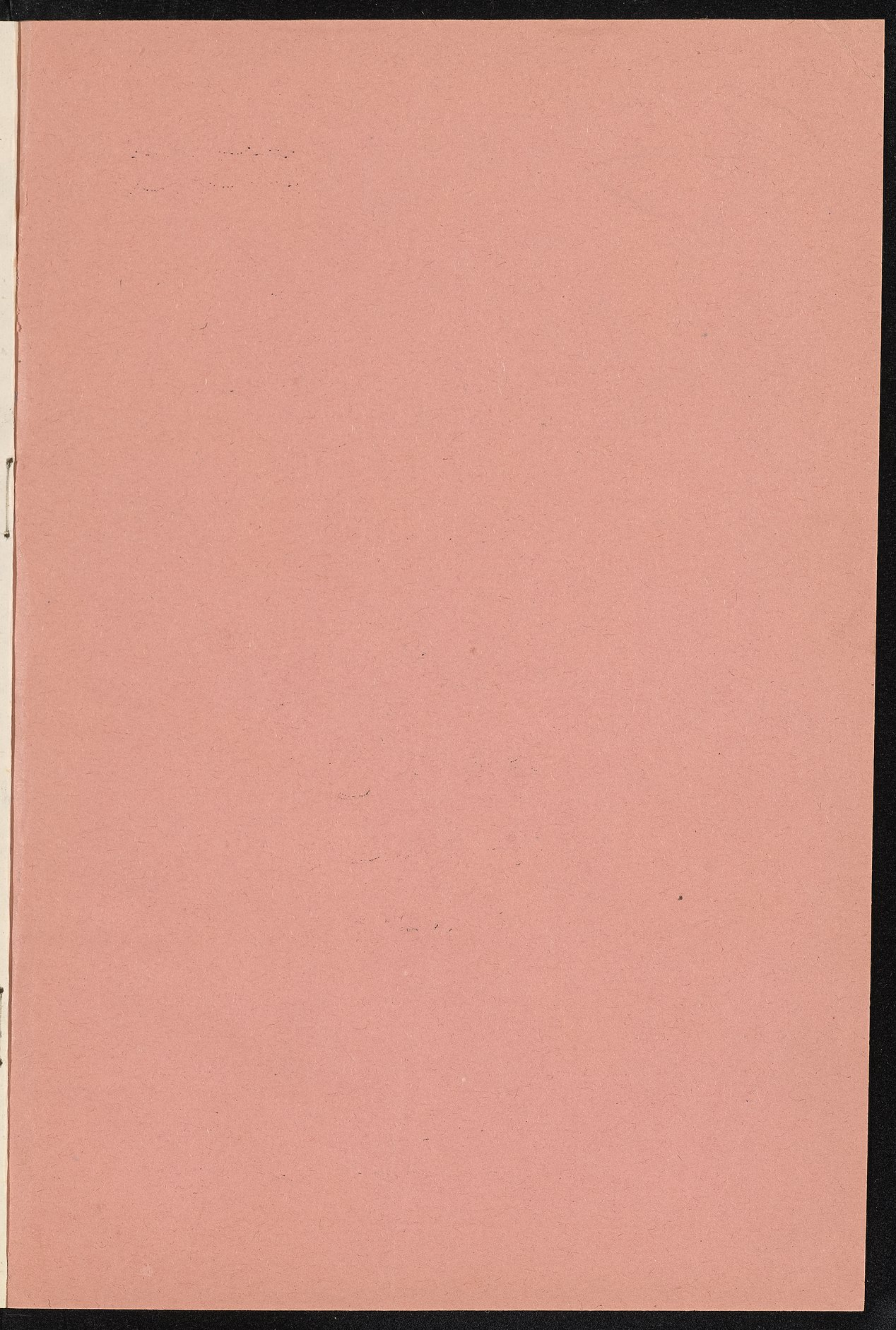
من

تاريخ الإسلام

للحافظ الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨

دار الوعي - حلب
شارع الوزير ص. ب ١٥٠٤ - هاتف ٣٦٧٧٧



وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ

ترجمة الإمام أحمد

١٦٤ - ٢٤١

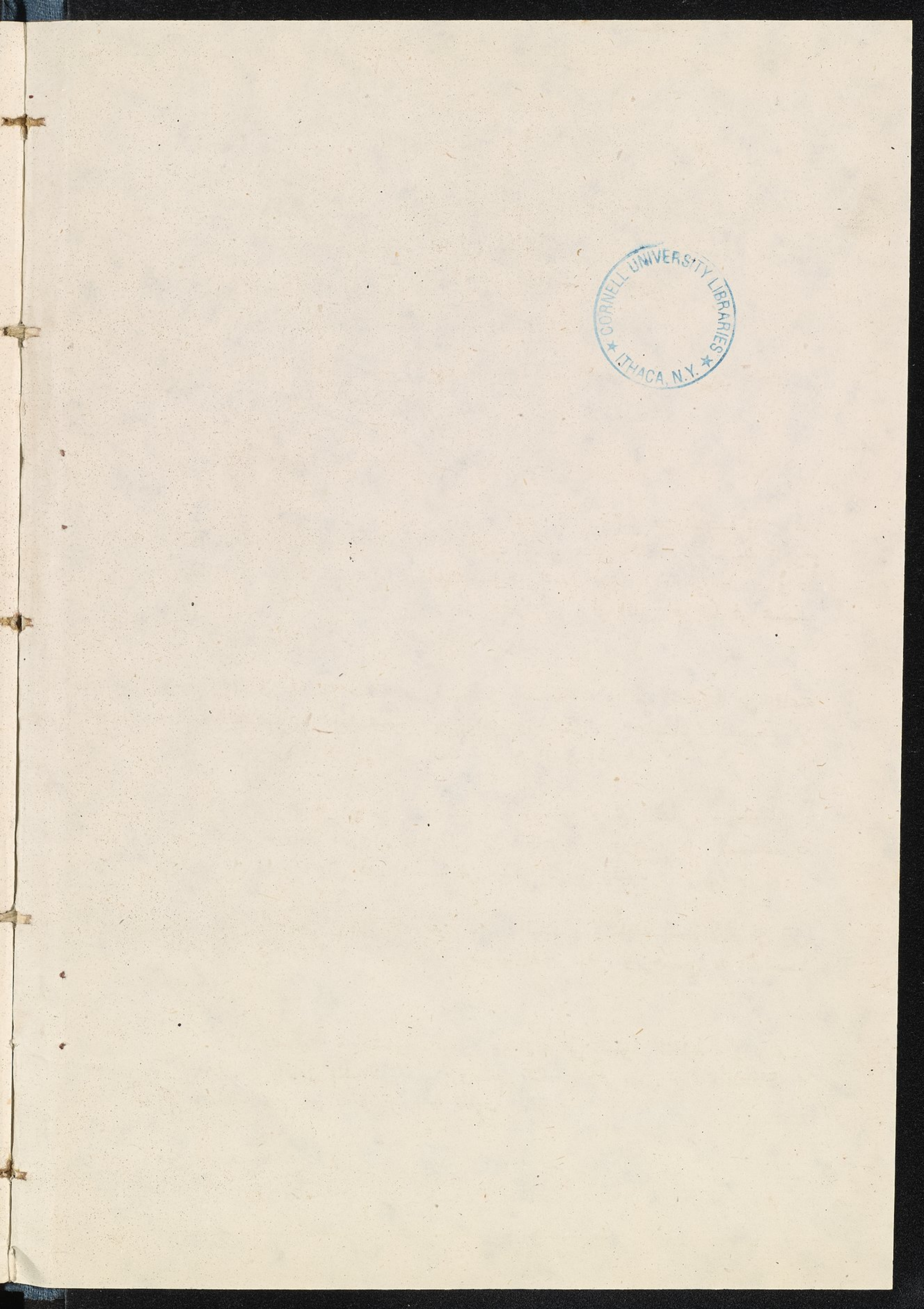
من

تاريخ الإسلام

للحافظ الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨

دار الوعي - حلب
شارع الوزير ص.ب ١٥٠٤ - هاتف ٣٦٧٧٧



تاريخ الاسلام
لمؤرخ الاسلام : الحافظ الذهبى

الامام الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبى الدمشقى .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

أما أستاذنا أبو عبدالله فبصر لا نظير له ، وكنز هو الملجأ اذا نزلت المعضلة ، امام الوجـود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا . وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل ، كأنما جمعت الأمة فى صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، وهو الذى خرجنا فى هـذه الصناعة ، وأدخلنا فى عداد الجماعة .

ولد فى دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وطلب الحديث من يفاعته فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحـل الى بعلبـك ، فسمع عن عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندى وغيرهما ..

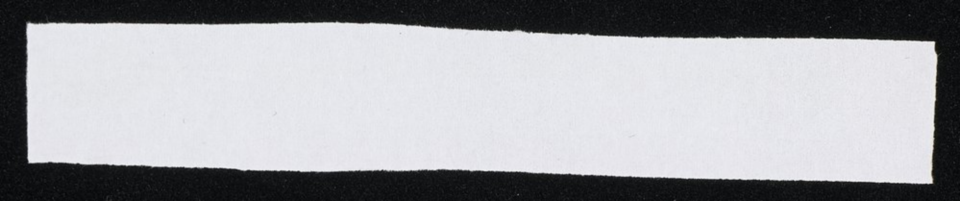
رحل الى مصر فسمع من شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، والحافظين : أبى محمد الدمياطى ، وأبى العباس بن الظاهرى . ورحـل الى الاسكندرية فسمع من علمائها والى حلب فسمع من سنقر الزينى وغيره .

أقام بدمشق يرحل اليه من سائر البلاد ، وتناديه السؤالات من كل ناد ، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به ، وتزهـى به الدنيـا وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته فى العلوم النقلية ، وقد عـد ابن تغرى فى المنهل الصافى خمسة وستين كتابا ، وفى ذيل تذكرة الحفاظ : ان مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة .

من أهم مصنفاته :

7- Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad, Tarjamat al-Imam Ahmad 164-241 min tarikh al-Islam /lil-Hafiz al-Dhahabi. Halab : Dar al-Wa`yy, [198-?] 78 p. ; 25 cm. US$ 11.00



تاريخ الاسلام الكبير، الذى نال شهرة واسعة ، لأنه أكبر كتب التاريخ وأوثقها وأتقنها ، ألفه حافظ محقق ثقة ، تناول فيه تاريخ الاسلام بدءا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصحابة ، فالتابعين ، والمحدثين والفقهاء ، والأدباء ، والمؤرخين الى آخر السنة ٧٠٠ هـ • مرتبا على سبعين طبقة تشمل كل طبقة عشر سنين ، ومصنفا على حروف المعجم • فجاء شاملا جامعا لكل مناحى الحياة خاصة تعرضه للأحوال الاجتماعية ، والحضارية ، والاقتصادية للدولة الاسلامية آنئذ •

وهذا الكتاب يقع مخطوطا فى واحد وعشرين مجلدا ، والجزء الذى تقع فيه ترجمة الامام أحمد فيه تراجم الطبقة الخامسة والعشرون المتوفون من سنة ٢٤١ الى سنة ٢٥٠، وهو من خير تراجم الامام أحمد بن حنبل ولعلها أحسن تعريف بهذا الامام المجاهد ، أمام أهل السنة ، وما أصابه من تعذيب وتنكيل بين يدى خلفاء بنى العباس ، وصبره ومصابرته حتى علت راية الحق ، وسلمت العقيدة •

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. الإمامُ أبو عبد الله الشيباني. هكذا نَسَبه ولدُه عبدُ الله، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن أحمد قال: وجدتُ في كتاب أبي نسبه، فساقه إلى مازن، ثم قال: ابن هذَيل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة.

قلت: قال فيه «هذيل بن شيبان» كما ترى، وهو غلط.

وقال البَغَوِيّ: حدثنا صالح بن أحمد، فقال فيه «ذهل» بدل «هذيل». وكذا نقل إبرهيم بن إسحق الغَسيل عن صالح. فدلّ على أن الوهم من ابن أبي حاتم.

وأما قول عباس الدُّوري وأبي بكر بن أبي داود أن الإمام أحمد كان من بني ذُهْل بن شيبان، فغلطهما الخطيبُ، وقال: إنما كان من بني شيبان بن ذُهل بن ثعلبة، قال: وذُهْل بن ثعلبة هو عمّ ذهْل بن شيبان بن ثعلبة، فينبغى أن يقال فيه «أحمد بن حنبل الذهلي» على الإطلاق، وقد نسبه البخاري إليهما معاً، فقال: الشيباني الذهلي.

وأما ابن ماكُولا ، مع بصره بالأنساب ، فوهِمَ وقال في سياق نسبه ، مازن بن ذهل بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ولم يتابَع عليه .

وقال صالح بن أحمد : قال لي أبي : وُلدتُ في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة . قال صالح : وجيء بأبي حَمْلٌ من مَرْوَ ، فتوفي أبوه محمد شابًّا ابن ثلاثين سنة ، فولِيت أبي أمُّه ، وقال أبي : وكانت قد ثقبت أذنيَّ ، فكانت أمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعتُ نزعتهما ، فكانتا عندها ، فدفعتْهما إلي فبعتهما بنحوٍ من ثلاثين درهماً .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي خيثمة : إنه وُلدَ في ربيع الآخر .

وقال حنبل : سمعتُ أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وجاءنا رجل وأنا في مجلس هشيم : فقال : مات حماد بن زيد .

فمن شيوخه : هشيم ، وسفيان بن عيينة ، وإبرهيم بن سعد ، وجرير بن عبد الحميد ، ويحيى القطان ، والوليد بن مسلم ، وإسمعيل بن علية ، وعلي بن هاشم ابن البريد ، ومعتمر بن سليمان ، وعمار بن محمد ابن أخت الثوري ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وغُندر[1] وبشر بن المفضل ، وزياد البكائي ، وأبو بكر بن عياش ، وأبو خالد الأحمر ، وعباد بن عباد المهلبي ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العميّ . وعمر بن عبيد الطنافسيّ ، والمطلب بن زياد ، ويحيى بن أبي زائدة ، والقاضي أبو يوسف ، ووكيع ، وابن نمير ، وعبد الرحمن بن مهديّ ، ويزيد بن هرون وعبد الرزّاق ، والشافعي ، وخلق كثير .

وممن روى عنه : خ م د[2] ، ومن بقي بواسطةٍ ، وفي خ د أيضاً بواسطة[2] ، وابناه :

---

(١) غندر : الحافظ المتقن المجود أبو عبد الله بن جعفر الهذى ـ مولاهم ـ البصرى ، لزم شعبة فأكثر عنه جدا ، توفى سنة ١٩٣ هـ .

(٢) خ : البخارى ، م : مسلم ، د : أبو داود .

صالحٌ، وعبد الله . وشيوخه : عبد الرازق ، والحسن ابن موسى الأشيب ، والشافعيّ لكنه قال « الثقة » ولم يسمه ، وأقرانهُ : عليّ بن المَدِيني ، ويحيى بن مَعِين ، ودُحَيم الشامي ، وأحمد بن أبي الحواريّ ، وأحمد بن صالح المصري . ومن القدماء : محمد بن يحيى الذُّهَلي ، وأبوا زُرْعةَ[1] وعبّاس الدُّروى ، وأبو حاتم ، وبَقيّ بن مَخلد ، وإبرهيم الحَرْبي ، وأبو بكر الأثرم ، وأبو بكر المَرُّوذي ، وحرب الكِرْماني ، وموسى بن هرون ، ومَطين ، وخلق ، آخرُهم أبو القاسم البغوى .

وقال أبو جعفر بن ذَريح العكبرى : طلبتُ أحمد بن حنبل لأسأله عن مسئلة ، فسلمتُ عليه وكان شيخاً مخضوباً طُوالاً أسمرَ شديد السمرة .

وقال الخطيب : ولد أبو عبد الله ببغداد ، ونشأ بها ، وطلب العلم بها ، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشأم والجزيرة .

وقال أحمد : مات هُشيم سنة ثلاث وثمانين ، وخرجتُ إلى الكوفة في تلك الأيام ، ودخلتُ البصرة سنة ست وثمانين ، ثم دخلتها سنة تسعين ، وسمعت من عليّ بن هاشم سنة تسع وسبعين[2] ، ثم عدتُ إليه المجلسَ الآخر وقد مات ، وهي السنة التي مات فيها مالك .

وقال : قدمنا مكة سنة سبع وثمانين وقد مات الفضيل ، وفي سنة إحدى وتسعين ، وفي سنة ستٍ ، وأقمت بمكة سنة سبع ، وخرجنا سنة ثمانٍ ، وأقمت سنة تسع وتسعين[3] عند عبد الرزاق ، وحججتُ خمس حجج ، منها ثلاث راجلاً ، وأنفقتُ في إحدى

---

(١) هما : أبو زرعة الرازى . واسمه عبيد الله بن عبد الكريم ابن يزيد بن فروخ (امام فى الحديث ، وكان يحفظ حديث أحمد بن حنبل كله ، لطول مجالسته ومناظرته اياه) . وأبو زرعة الدمشقي واسمه : عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان البصرى : حافظ عالم بالحديث والرجال ، وصنف من حديث الشام ما لم يصنفه أحد .

(٢) سنة : ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٧٩ على الترتيب .

(٣) سنة : ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ على الترتيب .

هذه الحجج ثلاثين درهماً ، ولو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد .

وقال : رأيت بن وهب بمكة ، ولم أكتب عنه .

وقال محمد بن حاتم : ولي جدُّ الإمام أحمد بن حنبل سِرَخْسَ ، وكان من أبناء الدعوة . فحُدِّثت أنه ضربه المسيب بن زهير الضبي ببخارى ، لكونه شغَّب الجند .

وعن عباس النحوي قال : رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه رَبْعة يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ، وفي لحيته شعرات سود ، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض ، ورأيته معتمًّا وعليه إزار .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهبت لأسمع من ابن المبارك فلم أدركه ، وكان قد قدم فخرج إلى الثغر ، فلم أسمع منه ولا رأيته .

وقال عارم أبو النعمان : وضع أحمد عندى نفقته ، فكان يجيء فيأخذ منها حاجته ، فقلت له يوماً . يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب ؟ فقال : يا أبا النعمان ، نحن قوم مساكين ، فلم يزل يدافعنى حتى خرج ، ولم يقل لي شيئاً .

وقال صالح : عزم أبي على الخروج إلى مكة، ورافق يحيي بن معين ، فقال أبي : نحجّ ونمضى إلى صنعاء ، إلى عبد الرزاق ، قال: فمضينا حتى دخلنا مكة ، فإذا عبد الرزاق في الطواف ، وكان يحيي يعرفه ، فطفنا ثم جئنا إلى عبد الرزاق ، فسلَّم عليه يحيي ، وقال : هذا أخوك أحمد بن حنبل ، فقال: حيّاه الله ، إنه لَيَبْلُغني عنه كلُّ ما أسرُّ به ، ثبَّته الله على ذلك ، ثم قام لينصرف ، فقال يحيي: ألا نأخذ عليه الموعد؟ فأبى أحمد ، وقال لِمَ أغيّر النيةَ في رحلتى إليه ؟ أو كما قال ، ثم سافر إلى اليمن لأجله ، وسمع منه الكتبَ وأكثرَ عنه .

فصـــل

في إقباله على العلم واشتغاله وحفظه

قال الخلال : أخبرنا ، المرُّوذي أن أبا عبد الله قال له : ما تزوجتُ إلا بعد الأربعين .

وعن أحمد الدورقيّ عن أبي عبد الله قال : نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه ، لم نضبطه ، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد ! !

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبا زُرعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : حفظت كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حيٌّ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قال سعيد بن عمرو البرذعي : يا أبا زرعة ، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ، قلت : وكيف علمتَ ؟ قال : وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وأنا لا أقدر على هذا .

وعن أبي زرعة قال : حُزِرَتْ[1] كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ، ما كان على ظهر كتاب منها « حديث فلان » ولا في بطنه « حدثنا فلان » وكل ذلك كان يحفظ على ظهر قلبه .

وقال الحسن بن منبهٍ : سمعت أبا زرعة قال : أخرج إليّ أبو عبد الله أجزاء

كلها « سفيان » « سفيان » ، ليس على حديث منها حدثنا فلان ، فظننتها عن رجل واحد ، فانتخبت منها ، فلما قرأ علي جعل يقول : حدثنا وكيع ويحيى حدثنا فلان ، فعجبت من ذلك ، وجهدت أن أقدر على شيء من هذا ، فلم أقدر .

وقال المَرُّوذي : سمعت أبا عبد الله يقول : كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري ، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله ، فكنت أذاكره ، فربما ذكر تسعة ، عشرة ، أحاديث فأحفظها ، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث أملّ علينا ، فأملها عليهم .

وقال الخلال : حدثنا أبو إسمعيل الترمذي ، سمعت قتيبة بن سعيد يقول : كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان ، قال : هات ، قال : تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا ؟ قال : نعم حدثنا يحيى ، فيقول : سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : حدثنا عبد الرحمن ، فيقول : وعن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول : أنت حدثتنا ، حتى يفرغ من سلمة ، ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ ، قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية فقالت : قد طلع الكوكب ، أو قالت : الزهرة .

وقال عبد الله : قال لي أبي : خذ أيّ كتاب شئت من كتب وكيع ، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك الإسناد ، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك عن الكلام .

وقال الخلال : سمعت أبا القاسم الجَبُلي(١) وكفاك به ، يقول : أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه .

وقال إبرهيم الحربي : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين .

وعن أحمد بن سعيد الرازي قال : ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سلمة سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا ، وكنا نتذاكر الحديث من طريقين وثلاثة ، فيقول يحيى من بينهم : وطريق كذا ، فأقول : أليس قد صح هذا بإجماع منا ؟ فيقولون : نعم : فأقول : ما تفسيره ؟ ما فقهه ؟ فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل .

وقال الخلال : كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها ، ثم لم يلتفت إليها .

وقال أحمد بن سِنان : ما رأيت يزيد بن هرون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيته أكرم أحداً مثله ، وكان يقعده إلى جنبه ويوقره ولا يمازحه .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع

وقال إبرهيم بن شماس : سمعت وكيعاً يقول : ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى ، يعني أحمد ، وسمعت حفص بن غِياث يقول ذلك .

وعن عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري .

---

(١) واسمه « اسحق بن ابراهيم الجبلى » المشتبه ٨٩ .

وقال القواريري : قال لي يحيى القطانُ : ما قدم عليَّ مثلُ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

وقال أبو اليمان : كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطاة بن المنذر[١] .

وقال الهيثم بن جميل : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه ، يعني أحمد .

وقال قتيبة : خير أهل زماننا ابنُ المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعني أحمد بن حنبل.

وقال أبو داود : سمعت قتيبة يقول : إذا رأيتَ الرجل يحبُّ أحمد فاعلم أنه صاحب سنة .

وقال عبد الله بن أحمد بن شبويه عن قتيبة : لو أدرك أحمدُ عصر الثوريّ والأوزاعي ومالك والليث لكان هو المقدَّم ، فقلت لقتيبة : تضم أحمد إلى التابعين ؟ فقال : إلى كبار التابعين . وسمعتُ قتيبة يقول : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت قتيبة يقول : أحمد بن حنبل إمام الدنيا .

وقال العباس بن الوليد البيروتي : حدثنا الحرثُ بن عباس قال : قلت لأبي مُسْهِرٍ : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمرَ دينها ؟ قال : لا أعلمه إلا شاب في ناحية المشرق ، يعني أحمد بن حنبل .

قال المزني : قال لي الشافعي : رأيت ببغداد شاباً إذا قال « حدثنا » قال الناس كلهم : صدق . قلت : من هو ؟ قال : أحمد بن حنبل .

وقال حرملة : سمعت الشافعى يقول : خرجت من بغداد فما خلفتُ بها رجلاً أفضلَ ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

---

(١) أرطاة بن المنذر : تابعى حمصى أدرك ثوبان وسمع من مجاهد والكبار . وعنه ابن المبارك ، وهو ثقة فقيه زاهد عابد كبير ، مات سنة ١٦٣ هـ .

وقال الزعفراني : قال لي الشافعي : ما رأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي .

وقال محمد بن إسحق بن راهَوَيْه : سمعتُ أبي يقول : قال لي أحمد بن حنبل : تعالَ حتى أُرِيَكَ رجلاً لم ترَ مثلَه ، فذهب بي إلى الشافعي ، قال أَبي : وما رأى الشافعيُ مثلَ أحمد بن حنبل ، ولولا أحمدُ وبَذْلُ نفسه لِما بذلها له لذَهَب الإسلامُ .

وعن إسحق قال : أحمد حجةٌ بين الله و بين خلقه .

وقال محمد بن عبدويه : سمعت عليّ بن المديني[1] ، وذكرَ أحمد بن حنبل ، فقال : هو أفضل عندي من سعيد بن جُبيرٍ في زمانه ، لأن سعيداً كان له نظراء ، وإن هذا ليس له نظير ، أو كما قال .

وقال عليّ بن المديني : إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة ، وبأحمد بن حنبل يوم المِحْنَة .

وقال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ، وهو أفقههم . وذكر الحكاية .

وقال محمد بن نصر الفرّاء : سمعتُ أبا عُبيد يقول : أحمد بن حنبل إمامُنا ، إني لأتزين بذكره .

وقال أبو بكر الأثرم عن أبي عبيد : ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة من أحمد .

وقال أحمد بن الحسن الترمذي : سمعت الحسن بن الربيع يقول : ما شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سَمْتِه وهيئته .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسين الأنماطي قال : كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وجماعة ، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ، فقال رجل :

---

(١) على بن المدينى (١٦١ ـ ٢٣٤) : شيخ البخاري ، أحد الأعلام الأثبات وحافظ العصر ، وعلما فى معرفة الحديث والعلك ، وكان الامام أحمد لا يسميه ، انما يكنيه تبجيلا له .

لا تكثروا ، بعضَ هذا ! فقال يحيى بن مَعين : وكثرة الثناء على أحمد تُستكثر ! لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها .

وقال عباس عن ابن معين : ما رأيت مثل أحمد .

وقال أبو جعفر النُّفيلي : كان أحمد من أعلام الدين .

وقال المرُّوذِي : حضرت أبا ثور سئل عن مسئلة ، فقال : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

وقال إبرهيم الحربي : قال ابن معين : ما رأيتُ أحداً يحدِّث لله إلا ثلاثة : يعلى بن عبيد ، والقَعْنبي ، وأحمد بن حنبل .

وقال عباس الدُّوري : سمعت ابنَ معين يقول : أرادوا أن أكون مثل أحمد ، والله لا أكون مثله أبداً .

وقال أبو خيثمة : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا أشدَّ قلباً منه .

وقال علي بن خشرم : سمعت بشر بن الحرث وسئل عن أحمد بن حنبل ، فقال : أنا أُسأل عن أحمد ؟ ! إن أحمد أُدخِلَ الكِيرَ فخرج ذهباً أحمرَ . رواها جماعة عن ابن خشرم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أصحاب بشر بن الحرث حين ضُرب أحمد في المحنة : يا أبا نصر ، لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل ! فقال بشر : أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء ! رُويت من وجهين عن بشر ، وزاد أحدهما : قال بشر : حفظ اللهُ أحمد من بين يديه ومن خلفه .

وقال القاسم بن محمد الصائغ : سمعت المرُّوذِيَّ يقول : دخلت على ذي النون السجنَ ونحن بالعسكر ، فقال : أي شيء حال سيدنا ؟ يعني أحمد بن حنبل .

وقال إسحق بن أحمد سمعت أبا زرعة يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم ، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به .

وقال ابن أبي حاتم : قالوا لأبي زرعة : فإسحق بن راهويه ؟ قال أحمد بن حنبل أكبر من إسحق وأفقه ، قد رأيت الشيوخ ، فما رأيت أحداً أكمل منه ، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة .

وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، أيهما أحفظ ؟ فقال : كانا في الحفظ متقاربَين ، وكان أحمد أفقه . وقال أبي : إذا رأيت الرجل يحبّ أحمد فاعلم أنه صاحب سُنّة . وسمعت أبي يقول : رأيت قتيبة بمكة ، فقلت لأصحاب الحديث : كيف تَغْفلون عنه وقد رأيتُ أحمد بن حنبل في مجلسه ؟ ! فلما سمعوا هذا أخذوا نحوه وكتبوا عنه .

وقال محمد بن حماد الطهراني : سمعت أبا ثور يقول : أحمد بن حنبل أعلم أو أفقه من الثوري .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : جعلت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني و بين الله .

وقال نصر بن علي الجَهْضَمي : كان أحمد أفضل أهل زمانه .

وقال عمرو الناقد : إذا وافقني أحمد على حديث لا أبالي من خالفني .

وقال محمد بن مهران الجمال وذُكر له أحمد بن حنبل ، فقال : ما بقي غيره .

وقال الخلال : حدثنا صالح بن علي الحلبي سمعت أبا همّام السَّكُوني يقول : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأى أحدٌ مثله .

وقال محمد بن إسحق بن خزيمة : سمعت محمد بن سختويه البرْذَعي يقول : سمعت أبا عمير عيسى بن محمد الرملي ، وذكر أحمد بن حنبل ، فقال : رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره ، و بالماضين ما كان أشبهه ، و بالصالحين ما كان ألحقه ، عرَضت له الدنيا فأباها ، والبدعُ فنفاها .

وقال أبو حاتم الرازي : كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عباد المسلمين ،

فقال لي : كتبت عن أحمد بن حنبل شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال : فأملِ عليَّ ، فأمليت عليه شيئاً .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما كنت أحب أن أُقتل فى سبيل الله ولم أُصَلِّ على أحمد بن حنبل .

وعنه قال : قبلتُ يوماً ما بين عيني أحمد بن حنبل ، وقلتُ : يا أبا عبدالله ، بلغتَ مبلغ سفيان ومالكٍ ، ولم أظنَّ في نفسي أني بقيت غايةً ، فبلغ واللهِ في الإمامة أكثر من مبلغهما .

وعن حجاج بن الشاعر قال : ما رأت عيناي روحاً في جسدٍ أفضل من أحمد بن حنبل .

وعن محمد بن نصر المَرْوَزي قال : اجتمعتُ بأحمد بن حنبل وسألته عن مسائل ، وكان أكثر حديثاً من إسحق بن راهويه وأفقه منه .

وعن محمد بن إبرهيم البُوشَنْجِي قال : ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل .

وقال محمد بن مسلم بن وَارَةَ : كان أحمد صاحبَ فقه ، وصاحبَ حفظ ، وصاحبَ معرفة .

وقال أبو عبد الرحمن النَّسَائي : جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه ، والورعَ والزهد والصبر .

وقال خطَّاب بن بشر عن عبد الوهاب بن الحكم الورّاق : لما قال النبي صلى الله عليه « فَرُدُّوه إلى عالِمه » رددناه إلى أحمد بن حنبل ، وكان أعلم أهل زمانه .

وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد مجالسَ الآخرة ، لا يُذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيته ذَكر الدنيا قطّ .

وقال صالح جزَرَةَ : أفقهُ من أدركتُ في الحديث أحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وذُكر الشافعيُّ عنده ، فقال : ما استفاد منَّا أكثرُ مما استفدنا منه . قال عبد الله : كل شيء ، في كتاب الشافعي « أخبرنا الثقة » فهو عن أبي .

وقال الخلّال : حدثنا أبو بكر المرُّوذي قال : قدم رجل من الزهاد ، فأدخلته على أبي عبد الله وعليه فرو خَلَقٌ وخزيقةٌ على رأسه وهو حافٍ في بردٍ شديدٍ ، فسلَّم وقال : يا أبا عبد الله ، قد جئت من موضع بعيد ، وما أردتُ إلا السلام عليك ، وأريدُ عبَّادَانَ ، وأريدُ إنْ أنا رجعت أن أمُرَّ بك وأسلمَ عليك ، فقال : إن قُدِّر ، فقام الرجل وأبو عبد الله قاعد ، قال المرُّوذي : ما رأيت أحداً قط قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم أبو عبدالله إلا هذا الرجل ، فقال لي أبو عبد الله : ما ترى ، ما أشْبَهَه بالأبدال ؟ ! أو قال : إني لأذكر به الأبدال ! فأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ ، وقال : لو كان عندنا شيء لواسيناك .

قال الخلاّل : وأخبرنا المرُّوذي : قلت لأبي عبدالله : ما أكثر الداعي لك ! قال : أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، بأي شيء هذا ! وقلت لأبي عبد الله : إن رجلاً قدم من طرسوس فقال لي : إنا كنّا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليلُ رفعوا أصواتهم بالدعاء : ادعوا لأبي عبد الله ، وكنا نمدّ المنجنيق ونرمي عنه ، ولقد رمي عنه بحجر والعِلْج على الحصن متقوس بدرقة ، فذهب برأسه و بالدَّرَقة ، فتغيَّر وجهه ، وقال : ليته لا يكون استدراجاً ، فقلت : كلاّ .

قال الخلال : وأخبرني أحمد بن حسين قال : سمعت رجلاً من خراسان يقول : عندنا أحمد بن حنبل يُرَوْن أنه لايُشبه البَشَر ، يظنون أنه من الملائكة . وقال لي رجل : نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة .

قال الخلّال : وقال المرُّوذي : رأيت بعض النصارى الأطباء قد خرج من عند

أبي عبد الله ومعه راهب ، فسمعت الطبيب يقول : إنه سألني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله .

وقال المرُّوذي : وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبدالله يعالجه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ، مابقاؤك صلاح الإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعاً ، وليس من أصحابنا أحد إلا رضي بك . قال المرُّوذي : فقلت لأبي عبد الله : إني لأرجو أن يكون يُدعَى لك في جميع الأمصار ، فقال : يا أبا بكر ، إذا عَرَف الرجل نفسَه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبد الله بن أحمد : خرج أبي إلى طرسوس ماشياً ، وحج حجتين أو ثلاثاً ماشياً ، وكان أصبر الناس على الوحدة ، و بشرٌ فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة ، كان يخرج إلى ذا و إلى ذا .

وقال عباس الدُّوري : حدثني علي بن أبي فزارة جارُنا ، قال : كانت أمي مقعدةً من نحو عشرين سنة ، فقالت لي يوماً : اذهبْ إلى أحمد بن حنبل فسلْه أن يدعوَ لي ، فأتيتُ فدققت عليه وهو في دهليزه ، فلم يَفتَح لي ، وقال : من هذا ؟ قال : أنا رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها ، فسمعت كلامَه كلامَ رجل مُغْضَب ، فقال : نحن أحوج إلى أن تدعوَ الله لنا ، فولَّيْتُ منصرفاً ، فخرجت عجوزٌ فقالت : إني قد تركتُه يدعو لها ، فجئت إلى بيتنا دققتُ الباب ، فخرجت أمي على رجليها تمشي ، وقالت : قد وهب الله لي العافية . رواها ثقتان عن عباس .

وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفتْه ، فكان يصلي كل يوم وليلة مائةً وخمسين ركعة .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا علي بن الجَهْمِ قال : كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً ، فقال : أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : هذا خط أحمد بن حنبل ، فكيف كَتب

لك ؟ قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عُيينة ، ففقدنا أحمد أياماً ، ثم جئنا لنسأل عنه ، فإذا البابُ مردود عليه وعليه خلقان ، فقلتُ : ماخبَرُك ؟ قال : سُرِقت ثيابي ، فقلتُ له : معي دنانير ، فإن شئتَ صلةً وإن شئت قرضاً ، فأبَى ، فقلت : تكتُب لي بأجرةٍ ؟ قال : نعم ، فأخرجتُ ديناراً ، فقال : اشترِ لي ثوباً واقطعْه نصفين ، يعني إزاراً ورداءً ، وجئني ببقية الدينار ، ففعلتُ وجئت بورَق ، فكتب لي هذا .

وقال عبد الرزّاق : عرضت على أحمد بن حنبل دنانير فلم يأخذها .

وقال إسحق بن راهويه : كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرزّاق ، وكنت أنا فوق الغرفة وهو أسفل ، وكنت إذا جئتُ إلى موضع اشتريت جارية ، قال : فاطّلعتُ على أن نفقته فنيتْ ، فعرضتُ عليه فامتنع ، فقلت : إن شئت قرضاً ، وإن شئت صلةً ، فأبَى ، فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق . رواها أبو إسمعيل الترمذي عنه .

وعن أبي إسمعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد ، فأبَى أن يقبلها .

وقال عبد الله عن أبيه قال : عرض عليّ يزيد بن هرون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها . فقيل إن صيرفيًّا وصل أحمد بخمسمائة دينار فردها .

وقال صالح : دخلت على أبي أيامَ الواثق ، واللهُ يعلم كيف حالُنا ، فإذا تحت لبده ورقة فيها : يا أبا عبد الله ، بلغني ما أنت فيه من الضيق ، وقد وجهتُ إليك بأربعة آلاف درهم . فلما ردَّ أبي من صلاته قلت : ما هذا ؟ فاحمر وجهه ، فقال : رفعتها منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب إلى الرجل : وصل كتابك ونحن في عافية ، فأما الدَّيْنُ فلرجل لا يُرهقنا ، وأما العيال فهم في نعمة الله ، فذهبتُ

بالكتاب ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك ، فامتنع ، فلما مضى نحو سنة ذكرناها ، فقال : لو أنَّا قبلناها كانت قد ذهبت .

وقال جماعةٌ : حدثنا سَلَمة بن شبيب قال : كنا في أيام المعتصم عند أحمد بن حنبل ، فدخل رجل فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فسكتنا ، فقال أحمد : هأنذا ، قال : جئت من أربعمائة فرسخ برًّا وبحراً ، كنت ليلةَ جمعة نائماً فأتاني آتٍ فقال لي : تعرف أحمد بن حنبل ؟ قلت : لا ، قال : فأت بغداد وسل عنه ، فإذا رأيته فقل : إن الخضر يقرئك السلام ويقول : إن ساكن السماء الذى على عرشه راض عنك ، والملائكة راضون عنك بما صَفَوْتَ نفسكَ لله

فصل في آدابه

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النبي صلى الله عليه فيضعها على فمه يقبّلها ، وأحسِبُ أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به ، ورأيته قد أخذ قصعة النبي صلى الله عليه فغسلها في جبّ الماء ثم شرب فيها ، ورأيته يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسحُ به يديه ووجهه .

وقال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إليّ أحمد بن حنبل : لأبي جعفر أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

وعن سعيد بن يعقوب قال : كتب أحمد : من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب ، أما بعد ، فإن الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالِم طبيب ، فإذا رأيتَ الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره ، والسلام عليك .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الذهبي : حدثني أبي قال : مضى عمي أبو إبرهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه ، فلما رآه وثب قائماً وأكرمه .

قال المرّوذي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملتُ به ، حتى مرّ بي أن النبي صلى الله عليه احتجم وأعطى أبا طَيْبَةَ ديناراً ، فأعطيتُ الحجّام ديناراً حين احتجمت .

وقال ابنُ أبي حاتم : ذكر عبد الله بن أبي عمر البكري قال : سمعت عبد الملك الميموني يقول : ما أعلمُ أني رأيتُ أحداً أنظفَ ثوباً ولا أشدَّ تعاهُداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوباً وشدةَ بياضٍ ، من أحمد بن حنبل .

وقال الخلّال : أخبرني محمد بن الجنيد أن المرُّوذي حدثهم قال : كان أبو عبد الله لا يدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنوّر في البيت ، وأصلحتُ له غيرَ مرةٍ النورة ، واشتريتُ له جلداً ليده يُدخل يده فيه ويتنوّر .

وقال حنبل : رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام قال لجلسائه : إذا شئتم .

وقال المرُّوذي : رأيت أبا عبد الله قد ألقى لختّانٍ درهمين في الطست .

وقال موسى بن هرون : سئل أحمد بن حنبل فقيل له : أين يُطلب البُدَلاء ؟[1] فسكت حتى ظننا أنه لا يجيب ، ثم قال : إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري .

وقال المرُّوذي : كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العَبْرةُ ، وكان يقول : الخوفُ يمنعني أكل الطعام والشراب .

وقال : إذا ذُكر الموت هان علي كلّ شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعامٌ دونَ طعام ، ولباسٌ دون لباس ، وإنها أيام قلائل ، ما أَعْدِلُ بالفقر شيئاً .

وقال : لو وجدتُ السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذِكر .

وقال : أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أُعْرَف ، قد بُليتُ بالشهرة ، إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً .

وقال المرُّوذي : ذكر لأحمد أن رجلاً يريد لقاءه ، فقال : أليس قد كره بعضهم اللقاء ، يتزيّنُ لي وأتزيّن له ؟ !

وقال : لقد استرحتُ ، ما جاءني الفرجُ إلاّ منذ حلفتُ أن لا أحدِّث ، وليتنا نُترَكُ ؛ الطريق ما كان عليه بشر بن الحرث .

وقال المرّوذي : قلت لأبي عبد الله : إن فلاناً قال لم يزهد أبو عبد الله في الدراهم وحدها ، قد زهِد في الناس ، فقال : ومن أنا حتى أزهد في الناس ؟ ! الناسُ يريدون أن يزهدوا فيّ .

وسمعت أبا عبد الله يكره للرجل أن ينام بعد العصر ، يخاف على عقله .

وسمعته يقول : لا يُفلح مَن تعاطى الكلام ، ولا يخلو من أن يتجهم .

وسئل عن القراءة بالألحان ، فقال : هذه بدعة ، لا تسمع ، وكان قد قارب الثمانين ، رحمه الله .

فصل

في قوله في أصول الدين

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، البِرّ كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص من الإيمان .

وقال إسحق بن إبرهيم البغوي : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر .

وقال سَلَمة بن شَبيب : سمعت أحمد يقول : من يقول القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال أبو إسمعيل الترمذي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال إسمعيل بن الحسن السرّاج : سألت أحمد عمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : كافر ، وعمن يقول لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : جهميّ .

وقال صالح بن أحمد : تناهى إلى أبي أن أبا طالب يحكي أنه يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فأخبرت أبي بذلك ، فقال : من أخبرك ! قلت : فلان ، فقال : ابعث إلى أبي طالب ، فوجهت إليه ، فجاء وجاء فُوران ، فقال له ، أبي : أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟! وغضب ، وجعل يرعد ، فقال : قرأت عليك (قل هو الله أحد) فقلت لي ليس هذا بمخلوق ، فقال : فلم حكيت عني أني قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟! و بلغني أنك وضعت ذلك في كتاب و كتبتَ به إلى قوم ، فامْحُه ، وا كتبْ إلى القوم أني لم أقله لك ، فجعل فوران يعتذر إليه ، وانصرفَ من عنده وهو مرعوب ، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد كان حَكّ ذلك من كتابه ، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي .

قلتُ : الذي استقرّ عليه قول أبي عبد الله أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع .

وقال أحمد بن زنجويه : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية شر من الجهمية .

وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : افترقت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة قالوا القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا القرآن كلام الله تعالى وسكتوا ، وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

وقال أبي : لا يصلّى خلف واقِفِيّ ولا خلف لفظيّ .

وقال المرُّوذي : أخبرتُ أبا عبد الله أن أبا شُعيب السُّوسِيّ الذي كان بالرَّقة فرّق بين ابنته وزوجها لما وقف في القرآن ، فقال : أحسنَ عافاه الله ، وجعل يدعو له . وقد كان أبو شُعَيب شاور النـفَيلي فأمره أن يفرق بينهما .

قال المرُّوذي : ولما أظهر يعقوب بن شيبة الوقفَ حذَّر أبو عبد الله عنه ، وأ ر بهجرانِه وهجران مَن كلَّمه .

قلت : ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نصوص متعددة .

وأول من أظهر اللفظ الحسين بن علي الكرابيسي ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين . وكان الكرابيسي من كبار الفقهاء .

وقال المرُّوذي في كتاب القصص : عزم حسن بن البزّار وأبو نصر بن عبد المجيد وغيرهما على أن يجيئوا بكتاب المدلّسين الذي وضعه الكرابيسي يطعن فيه على الأعمش وسليمان التيمي ، فمضيتُ إليه في سنة أربع وثلاثين فقلت : إن كتابك يريد قوم أن يعرضوه على أبي عبد الله ، فأظهِرْ أنك قد ندمت عليه ، فقال : إن أبا عبد الله رجل صالح ، مثله يُوفَّق لإصابة الحق ، قد رضيتُ أن يُعرض عليه ، لقد سألني أبو ثور : أن أمحوَه ، فأبيت . فجيء بالكتاب إلى أبي عبد الله ، وهو لا يعلم لمن هو ، فعلَّموا على مستبشعات من الكتاب ، وموضعٍ فيه وَضْعٌ على الأعمش ، وفيه : إن زعمتم أن الحسن بن صالح كان يرى السيفَ فهذا ابن الزبير قد خرج . فقال أبو عبد الله : هذا أراد نصرة الحسن بن صالح فوضَع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه ، وقد جمع للروافض أحاديثَ في هذا الكتاب ، فقال أبو نصر : إن فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب ؟ فقال : حذروا عنه ، ثم انكشف أمرُه فبلغ الكرابيسي ، فبلغني أنه قال : سمعت حسيناً الصائغ يقول : لأقولن مقالةً حتى يقول أحمد بن حنبل بخلافها فيكفر ، فقال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فقلت لأبي عبد الله : إن الكرابيسي قال لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال أيضاً : أقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر ، فقال

أبو عبد الله : بل هو الكافر ، قاتله الله ، وأي شيء قالت الجهميةُ إلا هذا ؟! قالوا : كلام الله ، ثم قالوا : مخلوق ، وما ينفعه وقد نقض كلامُه الأخيرُ كلامَه الأول حين قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟! ثم قال أحمد : ما كان الله ليدَعَه وهو يقصد إلى التابعين ، مثل سليمان الأعمش وغيره ، يتكلم فيهم ، مات بشر المَريسي وخلَفَه حسين الكرابيسي ،

ثم قال : أيش خبرُ أبي ثورٍ ؟ وافقه على هذا ؟ قلت : قد هجره ، قال : قد أحسن ، قلت : إني سألت أبا ثور عمن قال لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فقال : مبتدع ، فغضب أبو عبد الله ، وقال : أيش مبتدع ؟ ! هـذا كلام جهل بعبنه ، ليس يفلح أصحابُ الـكلام .

وقال عبد الله بن أحمد : سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفية ؟ فقال : من كان منهم يحسن الـكلام فهو جهمي .

فقال الحـكم بن معبد : حدثني أحمد أبو عبد الله الدَّوْرَقي قال : قلتُ لأحمد بن حنبل : ما تقول في هؤلاء الذين يقولون لفظي بالقرآن مخلوق ؟ فرأيته استوى واجتمع وقال : هذا شرٌ من قول الجهمية ، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل تـكلم بمخلوق وجاء إلى النبي صلى الله عليه بمخلوق !

وقال ابنُ أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي سمعت أبا طالب أحمَد بن موسى بن حميد قال : قلت لأحمد بن حنبل : قد جاءت جهمية رابعةٌ ، فقال : ما هي ؟ قلت : قال إنسان من زعم أن في صدره القرآن فقد زعم أن في صدره من الإلهية شيء ! فقال : من قال هذا فقد قال مثل قول النصارى في عيسى أن كلمة الله فيه ! ما سمعت بمثل هذا قط ! قلت : أهذه الجهمية ؟ قال : أ كبر من الجهمية ، ثم قال : قال النبي صلى الله عليه : يُنْزَع القرآن من صدوركم .

قلت : الملفوظ كلام الله ، وهو غير مخلوق ، والتلفظ مخلوق ، لأن التلفظ من كسب القارئ ، وهو الحركة والصوت و إخراج الحروف ، فإن ذلك مما أحدثه القارئ ، ولم يُحدث حروفَ القرآن .ولا معانيه ، إنما أحدث نطقَه به ، فاللفظ قدر مشترك بين هذا وهذا ، ولذلك لم يُجوِّز الإمام أحمد « لفظي بالقرآن مخلوق » ولا « غير مخلوق » إذ كل واحد من الإطلاقين مُوهِمٌ . والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلّال : أخبرني أحمد بن محمد بن مطر وز كريا بن يحيى

أن أبا طالب حدَّثهم أنه قال لأبي عبد الله : جاءني كتاب من طرسوس أن سَرِيًّا السَّقَطِيَّ قال : لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألفَ فإنه قال لا أسجد حتى أُومَرَ ! فقال : هذا الكفر .

فرحم الله الإمام أحمد ، ما عنده في الدين محاباة .

قال الخلاّل : أنبأنا محمد بن أبي هرون أن إسحق بن إبرهيم حدثهم قال : حضرتُ رجلاً سأل أبا عبد الله فقال : يا أبا عبد الله ، إجماعُ المسلمين على الإيمان بالقَدَر خيره وشرّه ؟ قال أبو عبد الله : نعم . قال : ولا تكفر أحداً بذنبٍ ؟ فقال أبو عبد الله : اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال الخلاّل : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك العطار سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسكُ بما كان عليه الصحابةُ ، وتركُ البدع ، وترك الخصوماتِ والجلوسِ مع أصحاب الأهواء ، وتركُ المِراءِ والجدال ، وليس في السنة قياس ، ولا يُضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس ببائن منه ، وإياك ومناظرة مَن أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة ، والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، وأن النبي صلى الله عليه رأى ربه ، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه ، رواه قتادة والحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره ، على ما جاء عن النبي صلى الله عليه ، والكلام فيه بدعة ، ولكن نؤمن به على ما جاء على ظاهره ، وإن الله يكلم العباد يوم القيامه ليس بينهم و بينه ترجمان .

قال حنبل ابن إسحق : قلت لأبي عبد الله : ما معنى قوله (وهو معكم) ، و (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قال : عِلْمُه عِلْمُه . وسمعته يقول : ربنا تبارك وتعالى على العرش بلا حد ولا صفة .

قلت : معنى قوله بلا صفة ، أي بلا كيفيّة ولا وصف .

وقال أبو بكر المرُّوذي : حدثني محمد بن إبرهيم القيسي قال : قلتُ لأحمد بن حنبل : يحكى عن ابن المبارك أنه قيل له : كيف نعرف ربّنا ؟ قال : في السماء على عرشه ، قال أحمد : هكذا هو عندنا .

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

وقال عبد الله بن أحمد في كتاب الردّ على الجهمية تأليفه : سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ؟ فقال أبي : بلى ، تكلّم جل ثناؤه بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت . وقال أبي : حديث ابن مسعود « إذا تكلم اللهُ سُمع له صوتٌ كمَدِّ السلسلة على الصَّفْوانِ » قال : وهذه الجهمية تنكره ، وهؤلاء كفار ، يريدون أن يموهوا على الناس ، ثم قال : حدثنا المحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهلُ السماء فيخرون سُجداً .

وقال عبد الله : وجدت بخط أبي : مما يُحتج به على الجهمية من القرآن (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن) (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته) (وتمت كلماتُ ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)[1]

(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) (ألا له الخلق والأمر) (كل شيء هالك إلا وجهه) (ويبقى وجه ربك) (ولتُصْنَع على عيني) (وكلم الله موسى تكليماً) (يا موسى إني أنا ربك) (والأرض جميعاً قبضتهُ يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه) (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان) .

قلت : وذكر آياتٍ ، كثيرة في الصفات ، أنا تركت كتابتها هنا .

وقال يعقوب بن إسحق المطوّعي : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل ؟ فقال : على حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أبو بكر وعمر وعثمان .

وقال صالح بن أحمد : سئل أبي وأنا شاهد عمن يقدم علياً على عثمان ، يُبَدَّع ؟ فقال : هذا أهل أن يُبَدَّع ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه قدّموا عثمانَ .

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي مَن الرافضي ؟ قال : الذي يشتم رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه أو يتعرض لهم ، ما أراه على الإسلام .

وقال أبو بكر المرُّوذى : قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيما كان بين عليّ ومعاوية ؟ فقال : ما أقول فيهم إلا الحسنى .

* * *

وكلام الإمام أحمد كثير طيب في أصول الديانة ، لا يتسع هذا الكتاب لسياقه ، قد جمعه الخلّال في مصنَّف سماه (كتاب السنة عن أحمد بن حنبل) في ثلاث مجلدات .

فمما فيه : أخبرنا المرُّوذِي سمعت أبا عبدالله يقول : من تعاطى الكلام لا يفلح ، من تعاطى الكلام لم يَخلُ من أن يتجهم .

وسمعت أبا عبد الله يقول : لست أتكلم إلا ما كان من كتابٍ أو سنةٍ أو عن الصحابة والتابعين ، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود .

---

(١) كتاب السنة عن الامام أحمد بن حنبل مطبوع بمكة ١٣٤٩ هـ ، وطبع بالقاهرة بدون تاريخ ، وله أصل محفوظ بدار الكتب بالقاهرة (حديث ١٧٤٧) فى ٢٨٧ ورقة نسخة حديثة بخط ردىء . والذى وجدته أنه لابن أحمد بن حنبل ، وهو فى العقيدة . واختصر فى : المختار في أصول السنة لحسن بن أحمد بن عبدالله المتوفى ٤٧١ هـ انظر : تاريخ التراث العربى ٢/٢٠٢ . وقد ذكر أنه يوجد فى صورته الصغرى بعنوان : اعتقاد أهل السنة من ٦٣ ورقة (حديث ٣٥٤) تيمور . القاهرة . ولعله هو الذى طبع فى القاهرة بدون تاريخ . وانظر : طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ١/٣٢٤ ـ ٣٤٥ . ومعجم المؤلفين ٣/٢٠١ ، فهرست معهد المخطوطات ١/١٣٧ .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : من أحب الكلام لم يفلح ، لا يؤول أمرهم إلى خير . وسمعته يقول : عليكم بالسنة والحديث ، وإياكم والخوض والجدال والمراء ، فإنه لا يفلح من أحبَّ الكلام . وقال لي : لا تجالسهم ولا تكلم أحداً منهم . ثم قال : أدركنا الناس وما يعرفون هذا ، ويجانبون أهلَ الكلام . وسمعته يقول : ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه فأفلح ، لأنه يخرجه إلى أمر عظيم ، لقد تكلموا يومئذ بكلام واحتجوا بشيء فما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيَه .

قال الخلال : أخبرني محمد بن أبي هرون حدثنا أبو الحرث : سمعت أبا عبد الله يقول : قال أيوب : إذا تمرّق أحدهم لم يَعُدْ .

وقال الخلال : أخبرنا أحمد بن أصرم المزني قال : حضرت أحمد بن حنبل قال له العباس الهمداني : إني ربما رددت عليهم ، قال أحمد : لا ينبغي الجدال . ودخل أحمد المسجد وصلّى ، فلما انفتل قال : أنت عباس ؟ قال : نعم ، قال : اتق الله ، ولا ينبغي أن تنصب نفسك وتشتهر بالكلام ولا بوضع الكتب ، لو كان هذا خيراً لتقدمنا فيه الصحابة ، ولم أر شيئاً من هذه الكتب ، وهذه كلها بدعة . قال : مقبول منك يا أبا عبد الله ، أستغفر الله وأتوب إليه ، إني لست أطلبهم ولا أدقّ أبوابهم ، ولكن أسمعهم يتكلمون بالكلام وليس أحد يردّ عليهم فأغتمّ ولا أصبر حتى أردّ عليهم ، قال : إن جاءك مسترشد فأرشده ، قالها مراراً .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن أبي هرون ومحمد بن جعفر أن أبا الحرث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله ، قلت : إن ههنا من يناظر الجهمية ويبيّن خطأهم ويُدَقّق عليهم المسائل ، فما ترى ؟ قال : لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحدٍ أن يناظرهم ، أليس قال معاوية بن قُرّةَ : الخصومات تُحبط الأعمال ؟ والكلام رديء ، لا يدعو إلى خير ، تجنبوا أهل الجدال والكلام ، وعليك بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل

البدع ، وإنما السلامة في ترك هذا ، لم نؤمر بالجدال والخصومات . وقال : إذا رأيتم من يحب الكلام فاحذروه .

قال ابن أبي داود : حدثنا موسى أبو عمران الأصبهاني سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تجالس أصحاب الكلام وإن ذَبُّوا عن السنة .

وقال الميموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما زال الكلام عند أهل الخير مذموماً .

قلت : ذمُّ الكلام وتعلمه قد جاء من طرق كثيرة عن الإمام أحمد وغيره .

فصل من سيرته

قال الخلال : قلتُ لزُهير بن صالح بن أحمد : هل رأيت جدَّك ؟ قال : نعم ، مات وقد دخلتُ في عشر سنين . كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وأخواتي ، وكان بيننا وبينه باب ، وكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى فاميّ يعامله ، فنأخذ منه الحبتين وتأخذ الأخوات ، وكان ربما مررتُ به وهو قاعد في الشمس وظهره مكشوف وأثر الضرب في ظهره ، وكان لي أخ أصغر منّي اسمه « عليّ » فأراد أبي أن يختنه ، فاتخذ له طعاماً كثيراً ، ودعا قوماً ، فلما أراد أن يختنه وجَّه إليه جدّي فقال : إنه بلغني ما أحدثته لهذا الأمر ، وقد بلغني أنك أسرفتَ ، فابدأ بالفقراء والضعفاء فأطعمهم . فلما أن كان من الغد وحضر الحجّامُ وحضر أهلُنا ، فجاء جدي حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي ، وأخرج صُرَيْرَةً فدفعها إلى الحجام ، وصُرَيْرَةً دفعها إلى الصبي ، وقام فدخل منزله ، فنظر الحجام في الصريرة فإذا درهم واحد ، وكنا قد رفعنا كثيراً مما افترش ، وكان الصبي على مصطبة مرتفعة على شيء من الثياب الملونة ، فلم ينكر ذلك . وقدم علينا من خراسان ابنُ خالةِ جدّي ، فنزل على أبي ، وكان يُكْنَى بأبي أحمد ، فدخلت معه إلى جدي ، فجاءت الجارية

بطبق خِلَافٍ وعليه خبز و بقل وخَلّ وملحٌ ، ثم جاءت بغُضارة فوضعتها بين أيدينا ، فيها مصليّة فيها لحم وسلق كثير ، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا ، ويسأل أبا أحمد عمن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما يأكل ، فربما استعجم الشيءُ على أبي أحمد فيكلمه جدي بالفارسية ، ويضع القطعة اللحم بين يديه و بين يديّ ، ثم رَفَع الغضارة بيده فوضعها ناحية ، ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضعه بين أيدينا ، فإذا تمر برنى وجوز مكسّر ، وجعل يأكل ، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد .

وقال عبد الملك الميموني : كثيراً ما كنت أسأل أبا عبد الله عن الشيءْ ، فيقول : لبَّيكَ لبَّيكَ .

وعن المرُّوذي قال : لم أر الفقير في مجلس أعزّ منه في مجلس أبي عبد الله ، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم ، ولم يكن بالعَجول ، وكان كثير التواضع ، تعلوه السكينه والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لايتكلم حتى يُسأل ، و إذا خرج إلى مسجده لم يتصدّرْ ، يقعدُ حيث انتهى به المجلس .

وقال الطبَراني : حدثنا موسى بن هرون سمعت إسحق بن راهويه يقول : لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة ، فأكْرَى نفسَه من حمّالين إلى أن جاء صنعاء ، وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يقبل .

قال الفقيه عليّ بن محمد بن عمر الرازي : سمعت أبا عمر غلام ثعلب سمعت أبا القاسم بن بشار الأنماطي سمعت المزنيّ سمعت الشافعيّ يقول : رأيت ببغداد ثلاث أعجوبات : رأيت بها نبطيًا يتنحّى عليّ حتى كأنه عربي وكأني نبطي ! ورأيت أعرابيًا يلحن حتى كأنه نبطي ! ورأيت شابًا وخطه الشيب فإذا قال حدثنا قال الناس كلهم : صدق . قال المزنيّ : فسألته ، فقال : الأول الزعفراني . والثاني أبو ثورْ الكلبي ، وكان لحاناً ، وأما الشابّ فأحمد بن حنبل .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : رأيت أبي حَرّج على النَّمْل أن يخرج النمل

من داره ، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك ، نملاً سوداً ، فلم أرهم بعد ذلك ، رواها أحمد بن محمد الأُنْباني عنه .

قال أبو الفرج بن الجوزي : لما وقع الغرق سنة أربع وخمسين وخمسمائة غرقت كتبي وسلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد .

***

ومن نهي أبي عبد الله عن الكلام : قال المرُّوذي : أُخبرت قبل موت أبي عبد الله بسنتين أن رجلاً كتب كتاباً إلى أبي عبد الله يشاوره في أن يضع كتاباً يشرح فيه الردّ على أهل البدع ، فكتب إليه أبو عبد الله ، قال الخلّال : وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : كتب رجل إلى أبي عبد الله ، قال : وأخبرني محمد بن عليّ الوراق حدثنا صالح بن أحمد قال : كتب رجل إلى أبي يسأل عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم ؟ فأملى عليَّ أبي جوابَ كتابه :

أحسن الله عاقبتَك ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوسَ مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله ، لا تَعْدُ ذلك ، ولم يزَل الناسُ يكرهون كل مُحْدَث ، من وضعِ كتابٍ وجلوسٍ مع مبتدع ليورد عليه بعضَ ما يُلْبس عليه في دينه .

وقال المرُّوذِي : بلغني أن أبا عبد الله أنكر على وليد الكرابيسي مناظرتَه لأهل البدع .

وقال المرُّوذِي : قلت لأبي عبد الله : قد جاؤوا بكلام فلانٍ ليُعرض عليك ، وأعطيته الرقعة ، فكان فيها : والإيمان يزيد وينقص فهو مخلوق ، وإنما قلت إنه مخلوق على الحركة والفعل لا على القول ، فمن قال الإيمان مخلوق وأراد القول فهو كافر . فلما قرأها أحمد وانتهى إلى قول « الحركة والفعل » غضب ورمى بها ، فقال :

هذا مثل قول الكرابيسي ، إنما أراد الحركات مخلوقة ، إذا قال الإيمان مخلوق فأي شيء بقي ؟ ليس يفلح أصحاب الكلام .

قلت : إنما حط عليه أحمد بن حنبل لكونه خاض ودقق وقسّم ، وفي هذا عبرة وزاجر ، والله أعلم . فقد زجر الإمام أحمد كما ترى في قصة الرقعة التي في الإيمان ، وهي والله بحث صحيح وتقسيم مليح ، و بعد هذا فقد ذم من أطلق الخلق على الإيمان باعتبار قول العبد لا باعتبار مَقُوله ، لأن ذلك نوع من الكلام ، وهو كان يذم الكلام وأهله و إن أصابوا ، و ينهى عن تدقيق النظر في أسماء الله وصفاته ، مع أن محمد بن نصر المَرْوَذِي قد سمع إسحق بن راهويه يقول : خلق الله الإيمانَ والكفرَ والخيرَ والشرَّ .

فصل

في زوجاته وأولاده

قال زهير بن صالح بن أحمد : تزوج جدي بأمِّ أبي عَبأسَةَ بنت الفضل ، من العرب من الربض ، لم يولد له منها غير أبي ، ثم ماتت .

قال المرُّوذي سمعت أبا عبد الله يقول : أقامت معي ، أم صالح ثلاثين سنةً فما اختلفت أنا وهي في كلمةٍ .

وقال زهير : لما ماتت عبأَّسة تزوج جدّي بعدها امرأة من العرب يقال لها ريحانة ، فولدت له عبدَ الله وحده .

وقال أبو بكر الخلّال : حدثنا أحمد بن محمد بن خلف البرَاثي أخبرني أحمد بن عبثر قال : لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها ، قالت : فأتيتها فأجابته ، فلما رجعت إليه قال : كانت أختها

تسمع كلامك ؟ قال : وكانت بعين واحدة ، فقالت له : نعم ، قال : فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة ، فأتتها فأجابته ، وهي أم عبد الله ابنه ، فأقام معها سبعاً ، ثم قالت له : كيف رأيت يا ابن عمي ؟ أنكرتَ شيئاً ؟ قال : لا ، إلا أن نعلك هذه تَصِرّ

فيما تقدم وهم ، من أن أحمد رحمه الله تزوج بهذه بعد موت أم صالح ، وذلك لا يستقيم ، لأن عبد الله وُلد لأحمد ولأحمد خمسون سنة غير أشهرٍ ، وكان صالح أكبر من عبد الله بسنواتٍ ، لأنه سمع من عفّان وأبي الوليد ، وذكر أبو يعقوب الهرويّ وغيره أن صالحاً وُلد سنة ثلاث ومائتين ولأبيه إذ ذاك تسع وثلاثون سنة ، فصالح أكبر من عبد الله بعشرين سنة . والله أعلم .

وقال الخلّال : حدثني محمد بن العباس حدثنا محمد بن علي حدثني أبو بكر بن يحيى قال : قال أبو يوسف بن بختان : لما أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له الجارية ، مضيت أنا وفوران ، فتبعني أبو عبد الله ، فقال لي : يا أبا يوسف ويكون لها لحم .

قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى « حُسْنَ » فولدت منه زينب ثم الحسنَ والحسينَ توأماً[٣] ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسنَ ومحمداً ، فعاشا ثَمَّ ، حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين سنةً ، ثم ولدت ، بعدهما سعيداً .

قال الخلّال : وحدثنا محمد بن علي بن بحر سمعتَ حُسْنَ أمَّ وَلد أبي عبد الله تقول : قلت لمولاي : يا مولاي ، أصرف فرد خلخالي ؟ قال : وتطيب نفسكِ ؟ قلت : نعم ، قال : الحمد الله الذي وفقك لهذا ، قالت : فأعطيته أبا الحسن بن صالح فباعه بثمانية دنانير ونصف ، وفرّقها وقتَ حملي ، فلما ولدتَ حسناً أعطى مولاتي كرّامة درهماً ، وهي امرأة كبيرة كانت تخدمهم ، وقال لها : اذهبي إلى ابن شجاع القصّاب

ما أملك غيرَ هذا الدرهم ، ومالكِ عندي غير هذا اليوم ، قالت : وكان إذا لم يكن عندمولاي شيء فَرِح يومَه ذلك ، فدخل يوماً فقال لي : أريد أن أحتجم اليومَ ، وليس معه شيء ، فجئت إلى جَرَّةٍ لي فيها غزل فبعتُه بأربعة دراهم ، فاشتريتُ لحماً بنصف درهم ، وأعطى الحجامَ درهماً ، واشتريتُ طيباً بدرهم ، ولما خرج إلى سُرَّمَن رأى كنتُ قد غزلتُ غزلاً ليّناً وعملتُ ثوباً حسناً ، فلما قدم أخرجته إليه ، قال : ما أريده ، فدفعته إلى فُوران فباعه باثنين وأربعين درهماً ، واشتريت منه قطناً فغزلته ثوباً كبيراً ، فلما أعلمته قال : لا تقطعيه ، دَعِيه ، فكان كفنَه ، كُفِّنَ فيه ، وأخرجتُ الغليظ فقطَعه .

وعن أحمد بن جعفر بن المنادي : أن أبا عبد الله اشترى جارية بثمن يسير ، سماها ريحانة ، ليتسرى بها .

لم يتابع ابنُ المنادي على هذا .

قال حنبل : ولد سعيد قبل موت أحمد بنحو من خمسين يوماً .

وقال بعض الناس : ولي سعيد قضاء الكوفة ، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة . وهذا لا يصح ، فإن سعيداً وُلد قبل موت أبيه ، ومات قبل موت أخيه عبد الله بدهر ، لأن إبرهيم الحربيّ عزى عبد الله بأخيه سعيد .

وأما الحسن ومحمد قال ابن الجوزى : فلم نعرف من أخبارهما شيئاً .

وأما زينب فكبرتْ وتزوجت .

وله بنتِ اسمها فاطمة ، إن صح ذلك .

ذكر المحنة

ما زال المسلمون على قانون السلف ، من أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة والجهمية ، فقالوا بخلق القرآن ، متسترين بذلك في دولة الرشيد .

فروى أحمد بن إبرهيم الدَّوْرَقي عن محمد بن نوح : أن هرون الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليَّ إن أظفرني به لأقتلنه . قال الدورقي : وكان بشر متوارياً أيام الرشيد ، فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام ، و باحث المعتزلة ، و بقي يقدم رجلاً و يؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، إلى أن قوي عزمه على ذلك في السنة التي مات فيها ، كما سقناه .

قال صالح بن أحمد بن حنبل : حُمِل أبي ومحمد بن نوح مقيَّدَيْن ، فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحولُ أبي ، فقال : يا أبا عبدالله : ، إن عُرِضْتَ على السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سُيِّرا ، فسمعت أبي يقول : صرنا إلى الرحبة ورحلنا منها ، وذلك في جوف الليل ، فعرض لنا رجل ، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا ، فقال للجمّال : على رِسْلِك ، ثم قال : يا هذا ، ما عليك أن تُقتل ههنا وتدخل الجنة ، ثم قال : أستودعك الله ، ومضى . قال أبي : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا رجل من العرب من ربيعة ، يعمل الشعر في البادية ، يقال له جابر بن عامر ، يُذْكَر بخير .

وروى أحمد بن أبي الحواريّ : حدثنا إبرهيم بن عبد الله قال : قال أحمد بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابيٍّ كلمني بها في رَحْبة طوق ، قال : يا أحمد إن يقتلْكَ الحق مت شهيداً ، و إن عشت عشت حميداً ، فقوي قلبي .

قال صالح بن أحمد : قال أبي : صرنا إلى أذَنَةَ [٢] ، ورحلنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها ، فإذا رجل قد دخل ، فقال : البشرى ! قد مات الرجل ، يعني المأمون ، قال أبي : وكنت أدعو الله أن لا أراه .

وقال محمد بن إبرهيم البُوشَنْجي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : تبيَّنتُ الإجابة في دعوتين : دعوتُ الله أن لايجمع بيني و بين المأمون ، ودعوته أن لا أرى المتوكل ، فلم أر المأمون ، مات بالبَذَندُون(٢) ، وهونهر الروم ، وأحمد محبوس بالرَّقَّة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فردَّ أحمد إلى بغداد ، وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمدَ دارَ الخلافة ليحدِّث ولدَه ، قعد له المتوكل في خوخة ، حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس رُدًّا في أقيادهما ، فلما صارا إلى الرقة حُملا في سفينة ، فلما وصلا إلى عانات توفي محمد ، فأطلق عنه قيدُه ، وصلى عليه أبي .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحداً على حداثة سنّه وقدر علمه أقومَ بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير ، قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، اللهَ اللهَ ، إنك لست مثلي ، إنك رجل يُقتدَى بك ، قدَّمَتِ الخلقُ أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبُتْ لأمر الله ، أو نحو هذا ، فمات وصليت عليه ودفنته ، أظنه قال : بعانة(١) .

قال لي صالح : وصار أبي إلى بغداد مقيداً ، فمكث بالياسرية أياماً ، ثم حُبس في دار اكتريت عند دار عمارة ، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية ، فقال أبي : كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد ، فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حوّلتُ إلى دار إسحق بن إبرهيم .

وأما حنبل بن إسحق فقال : حبس أبو عبد الله في دار عمارة ببغداد في إصطبل لمحمد بن إبرهيم أخو إسحق بن إبرهيم ، وكان في حبس ضيق ، ومرض في رمضان ، فحبس في ذلك الحبس قليلاً ، ثم حُوّل إلى سجن العامة ، فمكث في السجن نحواً

(١) البَذَندون : قـرية قريبـة من طرسوس .

من ثلاثين شهراً ، فكنا نأتيه ، وقرأ عليّ كتاب الإرجاء وغيره في الحبس ، فرأيته يصلي بأهل الحبس وعليه القيد ، فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم.

رجعنا إلى ما حكاه صالح بن أحمد عن أبيه لما حُوِّل إلى دار إسحق بن إبرهيم : فكان يوجّه إليّ كل يوم برجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن رَبَاح ، والآخر أبو شُعيب الحجام ، فلا يزالان يناظراني ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد في قيودي . قال : فصار في رجله أربعة أقياد . قال أبي : فلما كان في اليوم الثالث دخل عليّ أحد الرجلين فناظرني ، فقلت له : ما تقول في علم الله ؟ قال : علمُ الله مخلوق ، فقلت له : كفرت ،(١) فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحق بن إبرهيم : إن هذا رسول أمير المؤمنين ، فقلت له : إن هذا قد كفر ، فلما كان في الليلة الرابعة وجّه ، يعني المعتصم ، ببُغَا الذي كان يقال له الكبير ، إلى إسحق فأمره بحملي إليه ، فأدخلت على إسحق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله نفسُك ، إنه لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يقتلك في موضع لا تُرى فيه شمسٌ ولا قمر ، أليس قد قال الله عز وجل : (إنا جعلناه قرآناً عربياً) أفيكون مجعولاً إلاّ مخلوقاً ؟ فقلت : قد قال الله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) أفخَلَقهم ؟ قال : فسكت ، فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أُخرجت ، وجيء بدابة فحُملتُ عليها وعليّ الأقياد ، ما معي أحد يمسكني ، فكدت غير مرةٍ أن أخِرَّ على وجهي لثقل القيود ، فجيء بي إلى دار المعتصم ، فأُدخلت حجرةً وأُدخلت إلى بيتٍ ، وأُقفل الباب عليّ ، وذلك في جوف الليل ، وليس في البيت سراج ، فأردتُ أن أتمسحَ للصلاة ، فمددت يدي ، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطَسْتٌ موضوع ، فتوضأت وصليت ، فلما كان من الغد أخرجت تِكتي من سراويلي وشدَدْتُ بها الأقياد أحملها ، وعطفت سراويلي ، فجاء رسول المعتصم

فقال : أجب ، فأُخذ بيدي وأدخلني عليه والتكة في يدي أحمل بها الأقياد ، وإذا هو جالس وابنُ أبي دُؤادٍ حاضر ، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه ، فقال لي ، يعني المعتصم : ادْنه ، ادْنُه ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال لي : اجلس فجلست ، وقد أثقلتني الأقياد ، فمكثت قليلاً ، ثم قلت : أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : تكلم ، فقلت : إلى ما دعا اللهُ ورسولُه [٢] ؟ فسكتَ هنيهةً ، ثم قال : إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله ، فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قلت : إن جدكَ ابن عباسٍ يقول : « لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه سألوه عن الإيمان ، فقال : أتدرون ما الإيمان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا الخُمُسَ من المغنم » [١] ، قال : أبي قال ، يعنى المعتصم : لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرَضتُ لك .

ثم قال : يا عبد الرحمن بن إسحق ، ألم آمُرْك برفع المحنة ؟ ! فقلت : الله أكبر ، إن في هذا لَفَرَجاً للمسلمين ، ثم قال لهم : ناظروه ، كلموه ، ياعبد الرحمن كلمه ، فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ قلت له : ما تقول في علم الله ؟ فسكت ، فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) والقرآن أليس هو شيء ؟ فقلت : قال الله تعالى (تدمِّرُ كلَّ شيء بأمر ربها) فدمَّرت إلا ما أراد الله ؟ فقال بعضهم (ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ) أفيكون محدثٌ إلاّ مخلوقاً ؟ فقلت : قال الله : (صَ . والقرآن ذي الذكر) فالذكر هو القرآن ، ويْلك ! ليس فيها ألف ولام .

وذكر بعضهم حديث عِمران بن حُصَين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت : هذا خطأ ، حدثنا غير واحد « إن الله كَتب الذكر » . واحتجوا بحديث ابن مسعود « ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظمَ من آية الكرسي » . فقلت :

(١) الحديث رواه أبوداود، وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على القرآن ، فقال بعضهم: حديث خبَّابٍ « يا هَنتَاهْ ، تقربْ إلى الله بما استطعتَ ، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه » ، فقلت : هكذا هو.

قال صالح بن أحمد : فجعل أحمد بن أبي دُؤاد ينظر إلى أبي كالمغضَب ، قال أبي : وكان يتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابنُ أبي دؤاد فيقول : يا أمير المؤمنين ، هو واللهِ ضالٌ مبتدع ! فيقول : كلموه ، ناظروه ، فيكلمني هذا فأرد عليه ، ويكلمني هذا فأرد عليه ، فإذا انقطعوا يقول لي المعتصم : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به ، فيقول ابن أبي دؤاد : أنت لا تقول إلا ما في كتاب الله أوسنة رسول الله ؟ فقلت له : كما تأولتَ تأويلاتٍ فأنت أعلم ، وما تأولتَ ما يُحبس عليه وما يُقيد عليه.

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ولقدْ احتجوا علي بشيء مايقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه ، أنكروا الآثار ، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالتهم ، وجعلوا يدعون بقول الخصم وكذا وكذا ، فاحتججت عليهم بالقرآن ، بقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) فذمّ إبرهيمُ أباه أن عبدَ ما لا يسمع ولا يبصر ، فهذا منكرٌ عندكم ؟ ! فقالوا : شبَّهَ يا أمير المؤمنين ، شَبه ياأمير المؤمنين !

وقال محمد بن إبرهيم البُوشنجي : حدثني بعض أصحابنا أن ابن أبى دؤاد أقبل على أحمد يكلمه ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال المعتصم : يا أحمدُ ، ألا تكلمُ أبا عبد الله ؟ فقال أحمد : لست أعرفه من أهل العلم فأ كلّمَه !

وقال صالح بن أحمد : وجعل ابن أبي دؤاد يقول : يا أمير[illegible] لهو أحبُّ إليّ من مائة ألف دينار ومائة ألف دينار ، فيعدّ من ذلك ماشاء الله أن يَعد ، فقال المعتصم : والله لئن أجابني لأطلقنّ عنه بيدي ولأركبنّ إليه بجندي ولأطأن عقِبَه .

ثم قال : يا أحمد ، والله إني عليك لشفيق ، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هرون ابني ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله .

فلما طال المجلس ضجر وقال : قوموا ، وحبسني ، يعني عنده ، وعبد الرحمن بن إسحق يكلمني ، فقال المعتصم : ويحك أجبني ، فقال : ما أعرفك ! ألم تكن تأتينا ؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحق : يا أمير المؤمنين ، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهادَ والحجَّ معك ، قال : فيقول : والله إنه لعالم ، وإنه لفقيه ، وما يسوؤني أن يكون معي يردُّ عني أهلَ المِلَلِ . ثم قال لي : ما كنت تعرف صالحاً الرشيدي ؟ قلت : قد سمعت باسمه ، قال : كان مؤدِّبي ، وكان في ذلك الموضع جالساً ، وأشار إلى ناحية من الدار ، فسألته عن القرآن ، فخالفني ، فأمرت به فوطىء وسُحب !

ثم قال : يا أحمد ، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، قلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله ، فطال المجلس وقام ، ورُددت إلى الموضع الذي كنت فيه .

فلما كان بعد المغرب وجّه إليّ رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد ، يبيتان عندي ويناظراني ويقيمان معي ، حتى إذا كان وقتُ الإفطار جيء بالطعام ، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل ، ووجّه إليّ المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليل ، فقال : يقول : لك أمير المؤمنين : ماتقول ؟ فأرد عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال ابن أبي دؤاد : والله لقد كتِب اسمك في السبعة ، يحيى بن معين وغيره[1] ، فمحوته ، ولقد ساءني أخذهم إياك ، ثم يقول : إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب ، وأن يلقيَك في موضع لا ترى فيه الشمس ، ويقول : إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي ، وانصرف .

فلما أصبح جاء رسوله ، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه ، فقال لهم : ناظروه وكلموه ، فجعلوا يناظروني فأرد عليهم ، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في

الكتاب والسنة قلت : ما أدري ما هذا ؟ ! قال : يقولون : يا أمير المؤمنين ، إذا توجّهت له الحجة علينا ثبت ، و إذا كلمناه بشيء يقول لا أدري ما هذا ، فقال : ناظروه .

فقال رجل : يا أحمد ، أراك تذكر الحديث وتَنْتَحله ، قلت : ما تقول في (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ؟ قال : خص الله بها المؤمنين ، قلت : ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً ؟ فسكت ، وإنما احتججتُ عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن ، وحيث قال لي أراك تنتحل الحديث احتججتُ بالقرآن ، يعني فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال ، فلما ضجر قال لهم : قوموا ، وخلا بي و بعبد الرحمن بن إسحق ، فلم يزل يكلمني ، ثم قال أبي : فقام ودخل ، ورددت إلى الموضع .

قال : فلما كان في الليلة الثالثة قلت : خليق أن يحدث غداً من أمري شيء ، فقلت لبعض من كان معي ، الموكل بي : ارتدْ لي خيطاً ، فجاءني بخيط ، فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي ، مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرّى ، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجّه إلي ، فأدخلت ، فإذا الدار غاصة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع ، وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السياط ، وغير ذلك ، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء ، فلما انتهيت إليه ، قال : اقعد ، ثم قال : ناظروه ، كلموه ، فجعلوا يناظروني ، و يتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأردّ عليه ، وجعل صوتي يعلو أصواتهم ، فجعل بعض من على رأسه قائم يومىء إلي بيده ، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم ، ثم نحاهم وردني إلى عنده ، فقال : ويحك يا أحمد ! أجبني حتى أطلق عنك بيدي ، فرددت عليه نحواً مما كنت أرد ، فقال لي : عليك ، وذكر اللعن ، وقال : خذوه واسحبوه وخلّعوه ، قال : فسحبت ثم خُلّعت .

قال : وقد كان صار إليّ شعْرٌ من شعر النبي صلى الله عليه في كم قميصي ،

فوجه إليّ إسحق بن إبرهيم : ما هذا المصرور في كم قميصك ؟ قلت : شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه ، قال : وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي ، فقال لهم ، يعني المعتصم : لا تخرقوه ، فنزع القميصُ عني ، قال : فظننت أنه إنما دُرِئ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه ، قال : وجلس المعتصم على كرسي ، ثم قال : العقابين والسياط ! فجيء بالعقابين ، فمدت يداي ، فقال بعض من حضر خلْفي : خذ نايَ الخشبتين بيديك وشدّ عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعت يداي .

وقال محمد بن إبرهيم البوشنجي : ذكروا أن المعتصم لانَ في أمر أحمد لما علق في العقابين ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره ، حتى أغراه ابن أبي دؤاد ، فقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخطتَ قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبي : لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال : ائتوني بغيرها ، ثم قال للجلادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم فيضربني سوطين ، فيقول له : شد ، قطع الله يدك ! ثم يتنحى و يقوم الآخر فيضربني سوطين ، وهو يقول في كل ذلك : شد ، قطع الله يدك ! فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إليّ ، يعني المعتصم : وقال : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق ، قال : فجعل عُجَيْف ينخسني بقائمة سيفه ، وقال : أتريد أن تغلبَ هؤلاء كلهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلكَ ، الخليفةُ على رأسك قائم ! وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، دمُه في عنقي ، اقتله ! وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين ، أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم ! فقال لي : ويحك يا أحمد ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه أقول به ، فرجع وجلس ، وقال للجلّاد : تقدم وأوْجِع ، قطع الله يدكَ ! ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ، أجبني ،

فجعلوا يقبلون علي ويقولون : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم ! وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك ، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله ، فيرجع ، وقال للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ويضر بني سوطين ويتنحى ، وهوفي خلال ذلك يقول : شد ، قطع الله يدك ! قال أبي : فذهب عقلي ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أُطلقتْ عني ، فقال لي رجل ممن حضر : إنا كبَبْناك على وجهك ، وطرحنا على ظهرك بارية ودُسْناكَ ! قال أبي : فما شعرت بذلك ، وأتوني بسَوِيق فقالوا لي : اشرب وتقيأ ، فقلت : لا أفطر ، ثم جيءْ بي إلى دار إسحق بن إبرهيم ، فحضرتْ صلاة الظهر ، فتقدم ابن سَمَاعة فصلّى ، فلما انفتل من الصلاة قال لي : صليتَ والدم يسيل في ثوبك ؟ فقلت : قد صلى عمر وجرحه يَثْعَبُ دماً .

قال صالح : ثم خُلي عنه فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن ، منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخُلي عنه ، ثمانيةً وعشرين شهراً . ولقد أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه ، قال : يا ابن أخي ، رحمة الله على أبي عبد الله ، والله ما رأيت أحداً يشبهه ، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يُوَجَّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله ، أنت صائم ، وأنت في موضع تَقِيَّةٍ (١) ، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب : ناولني ،

---

(١) التقية : هى المدارة ، والكتمان ، والتظاهر بما ليس هو الحقيقة ، والحذر ، ومعناها أن يحافظ المرء على عرضه وما له مخافة عدوه فيظهر غير ما يضمر وهى النظام السرى عند الشيعة ، ولكن سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله كما جاء فى الحديث الشريف . والجهاد فى سبيل الله أساس من أسس الاسلام جهاد العدو الكافر ، وجهاد الحاكم الغاشم .

فناوله قدحاً فيه ماء وثلج ، فأخذه ونظر إليه هنيَّةً ، ثم ردَّه ولم يشرب ! فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش ، وهو فيما هو فيه من الهول !

قال صالح : كنت ألتمس وأحتال أن أوصل إليه طعاماً أو رغيفاً في تلك الأيام ، فلم أقدر . وأخبرني رجل حضره : أنه تفقده في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ، فما لحن في كلمة ، قال : وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه .

وقال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : ذهب عقلي مراراً ، فكان إذا رُفع عني الضربُ رجعت إليَّ نفسي ، وإن استرخيتُ وسقطتُ رُفع الضرب ، أصابني ذلك مراراً ، ورأيته ، يعني المعتصم ، قاعداً في الشمس بغير مظلة ، فسمعته وقد أفقتُ يقول لابن أبي دؤاد : لقد ارتكبتُ في أمر هذا الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه والله كافر مشرك ، قد أشرك من غير وجه ! فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد ، فقد كان أراد تخليتي بغير ضرب فلم يَدَعْهُ ولا إسحقُ بن إبرهيم ، وعزم حينئذ على ضربي .

قال حنبل : و بلغني أن المعتصم قال لابن أبي دؤاد بعد ما ضُرب أبو عبد الله : كم ضُرب ؟ فقال ابن أبي دؤاد : نيفاً وثلاثين ، أو أربعةً وثلاثين سوطاً .

وقال أبو عبد الله : قال لي إنسان ممن كان ثَمَّ : ألقينا على صدرك بارية وأكببناك على وجهك ودُسْنَاك .

قال أبو الفضل عُبيد الله الزهريّ : قال المرُّوذي : قلت وأحمد بين

= وتاريخ الاسلام حافل بمواقف العلماء فى وجه الطغيان كلما ظهر حاكم مستبد وانتحل قوانين وضعية يحكم بها .

وقد شخص الدكتور أحمد أمين فى يوم الاسلام ـ وهو خاتمة موسوعته : فجر الاسلام ، وضحاه ، وظهره ـ أسباب تأخر المسلمين الى الحكام والعلماء .

الهَنْبَارَيْن : يا أستاذ ، قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) قال : يا مروذي ، اخرج انظر ، فخرجت إلى رحبة دار الخليفة ، فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله تعالى ، والصحف في أيديهم والأقلامُ والمحابرُ ، فقال لهم المرُّوذي : أي شيءٍ ، تعملون ؟ قالوا : ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه ، فدخل إلى أحمد فأخبره ، فقال يا مَرُّوذيّ ، أضِل هؤلاء كلّهم ؟ ! .

قلت : هذه حكاية منقطعة لا تصح .

قال ابنُ أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي قال : لما حُمِلَ أحمد ليُضرب ، جاؤوا إلى بشر بن الحرث ، فقالوا : قد حُمل أحمد بن حنبل ، وحملت السياط ، وقد وجب عليك أن تتكلم ، فقال : ترِيدون مني مَقَامَ الأنبياء ؟ ! ليس ذا عندي ! حفظ اللهُ أحمد من بين يديه ومن خلفه ! !

وقال الحسن بن محمد بن عثمان الفَسَوِيّ : حدثني داود بن عرفة حدثنا ميمون بن الأصبغ قال : كنت ببغداد ، فسمعت ضجةً ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أحمد يُمتَحَن ، فأخذتُ مالاً له خطر ، فذهبت به إلى من يدخلني إلى المجلس ، فأدخلوني ، وإذا بالسيوف قد جُرِّدت ، وبالرماح قد رُكِزَت ، وبالتِّراس (١) قد صُفِّفت ، وبالسياط قد طرحت ، فألبسوني قباءً أسود ومِنْطَقَةً وسيفاً ، ووقفوني حيث أسمع الكلام ، فأتى أميرُ المؤمنين فجلس على كرسي ، وأُتي بأحمد بن حنبل ،

= وهذه التقية مأخوذة من الآية القرآنية (الا أن تتقوا منهم تقاة) فى ظلمات الحوادث ولكن من أصيب بجنون التأويل أول هذه الآية وتطامن وعجز وكسل فلماذا اذن شرع الله الجهاد ولمن ؟ وأين كرامة الشهداء والصابرين فى البأساء والضراء ؟ .

والرسول صلى الله عليه وسلم تعرض لمختلف انواع الايذاء والبلاء فى سبيل الدعوة ، وكذلك الصحابة رضى الله عنهم .

فقال له : وقرابتي من رسول الله لأضربنك بالسياط ، أو تقول كما أقول ، ثم التفت إلى جلاّد ، فقال : خذه إليك ، فأخذه ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، فضربه تسعةً وعشرين سوطاً ، وكانت تِكّةُ أحمد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته ، فقلت : الساعةَ ينهتك ، فرمى بطرفه إلى السماء وحرّك شفتيه ، فما كان بأسرع من أن بقي السراويل لم يَنْزل ، فدخلت عليه بعد سبعة أيام . فقلت : يا أبا عبد الله ، رأيتك وقد انحل سراويلك فرفعتَ رأسك أو طرفك نحو السماء ، فما قلت ؟ قال : قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً .

وقال جعفر بن أحمد بن فارس الأصبهاني : حدثنا أحمد بن أبي عبيد الله . قال : قال أحمد بن الفرج : حضرت أحمد بن حنبل لما ضُرب ، فتقدم أبو الدنّ ، فضربه بضعة عشر سوطاً ، فأقبل الدم من أكتافه ، وكان عليه سراويل ، فانقطع خيطه فنزل السراويل ، فلحظته وقد حرك شفتيه ، فعاد السراويل كما كان ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : قلت إلهي وسيدي ، وقفتني هذا الموقف ، فتهتكني على رؤوس الخلائق .

هذه حكاية لا تصح ، ولقد ساق فيها أبو نعيم الحافظ من الخرافات والكذب ما يُستَحى من ذكره .

وأضعف منها ما رواه أبو نعيم في الحلية : حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إبرهيم بن محمد بن إبرهيم القاضي حدثني أبو عبد الله الجوهري حدثني يوسف بن يعقوب سمعت عليّ بن محمد القرشي قال : لما قُدِم أحمد ليضرب وجُرِّد و بقي في سراويله ،

فبينا هو يضرب انحل سراويله ، فجعل يحرك شفتيه بشيء ، فرأيت يدين خرجتا من تحته وهو يُضرب ، فشدَّتا السراويل ، فلما فرغوا من الضرب قلنا له : ما كنت تقول ؟ قال : قلت : يا من لا يعلم العرشُ منه أين هو إلا هو ، إن كنتُ على حق فلا تُبْد عورتي .

قلت : هذه مكذوبة ذكرتها للمعرفة، ذكرها البيهقي وما جسر على تضعيفها !

ثم روى بعدها حكايةً في المحنة عن أبي مسعود البجلي إجازة عن ابن جهضم ، وهو كذوب ، عن النجاَّر عن ابن أبي العوَّام الرياحي ، فيها من الركاكة والخبط مالا يروج إلا على الجهاَّل ، وفيها أن مئزره اضطرب فحرك شفتيه ، فما استتم الدعاء حتى رأيت كفًّا من ذهب قد خرجت من تحت مئزره بقدرة الله ! .فصاحت العامة .

وقال محمد بن أبي سمينة : سمعت شَابَاص التائب يقول : لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربته فيلاً لهدَّتْه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : قال إبرهيم بن الحرث العُبَادي (١) : قال أبو محمد الطُّفاوي لأحمد : يا أبا عبد الله ، أخبرني عما صنعوا بك ؟ قال : لما ضربت جاء ذاك الطويلُ اللحية ، يعني عُجيفاً ، فضربني بقائم سيفه ، فقلت : جاء الفرج ، يُضرب عنقي وأستريح ، فقال ابن سَماعة : يا أمير المؤمنين ، اضرب عنقه ودمه في رقبتي ، فقال ابن أبي دُؤاد : لا يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناسُ : صبر حتى قُتل ، فاتخذوه إماماً ، وثبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة ، فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره .

قال ابن أبي حاتم : وسمعت أبا زُرْعة يقول : دعا المعتصم بعمّ أحمد بن حنبل ،

(١) في ابن الجوزي ٣٣٩ : « من ولد عبادة بن الصامت » . وإبرهيم هذا من كبار أصحاب الإمام أحمد ، قال الخلال : « كان أبو عبد الله — يعني أحمد — يعظم قدره ويرفعه » . وهو من شيوخ أبي داود وأبي بكر الأثرم . له ترجمة في التهذيب ١ : ١١٣ .

ثم قال للناس : تعرفونه ؟ قالوا : نعم ، وهو أحمد بن حنبل ، قال : فانظروا إليه ، أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا : نعم . ولو لا أنه فعل ذلك لكنت أخافُ أن يقع شيء لا يقامُ له ، قال : فلما قال قد سلمته إليكم صحيح البدن ، هدأ الناسُ وسكنوا

قال صالح : صار أبي إلى المنزل ، ووُجِّه إليه من السَّحَر مَن يُبصر الصربَ والجراحات ويعالِجُ منها ، فنظر إليه ، فقال لنا : والله لقد رأيتُ من ضُرب ألف سوط مارأيتُ ضرباً أشدَّ من هذا ، لقد جُرَّ عليه من خلفه ومن قُدّامه ، ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات ، وقال : لم يَنْقَبْ ، فجعل يأتيه ويعالجه ، وكان قد أصاب وجهَه غيرُ ضربة ، ثم مكث يعالجه إلى ما شاء الله ، ثم قال : إن ههنا شيئاً أريدُ أن أقطعه ، فجاء بحديدة فجعل يُعَلِّق اللحمَ بها ويَقْطعه بسكّين ، وهو صابر يحمد الله ، فبرأ ، ولم يزل يتوجع من مواضع منه ، وكان أثر الضرب بيّناً في ظهره إلى أن توفي .

وسمعت أبي يقول : والله لقد أعطيتُ المجهودَ من نفسي ، ووددتُ أني أنجو من هذا الأمر كِفافاً لا علي ولا لي .

ودخلت على أبي يوماً ، فقلت له : بلغني أن رجلاً جاء إلى فَضْلٍ الأنماطيّ فقال له : اجعلْني في حلٍّ إذْ لم أقم بنصرتك ، فقال فضل : لاجعلتُ أحداً في حل ، فتبسم أبي وسكت ، فلما كان بعد أيام قال : مررت بهذه الآية (فمن عَفَا وأصلح فأجره على الله) فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حدثني أبو النَّضر حدثنا ابنُ فَضَالة المبارك حدثني مَن سمع الحسن يقول : إذا جثت الامم بين يديْ رب العالمين نودوا : ليَقمْ مَن أجره على الله ، فلا يقوم إلّا من عفا في الدنيا ، قال أبي : فجعلت الميّتَ في حل من ضربه إياي ، ثم جعل يقول : وما على رجل ألاّ يعذِّبَ اللهُ بسببه أحداً !

وقال حنبل بن إسحق لما أمر المعتصم بتخلية أبي عبد الله خلع عليه مُبَطَّنةً

وقميصاً وطيلساناً وخفًّا وقلنسوة ، فبينا نحن على باب الدار والناسُ في الميدان والدروب وغيرها وأُغلقت الأسواق ، إذ خرج أبو عبدالله على دابة من دار أبي إسحق المعتصم ، وعليه تلك الثياب ، وابنُ أبي دؤاد عن يمينه ، وإسحق بن إبرهيم ، يعني نائبَ بغداد ، عن يساره ، فلما صار في دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابنُ أبي دؤاد : اكشفوا رأسه ، فكشفوه ، يعني من الطيلسان فقط ، وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس ، فقال لهم إسحق : خذوا به هٰهنا ، يريد دجلة ، فذُهِبَ به إلى الزورق ، وحُمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صُلِّيَتِ الظهرُ ، وبعث إلى أبي وإلى جيراننا ومشايخ المحالّ ، فجُمعوا وأُدخلوا عليه ، فقال لهم : هذا أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلّا فليعرّفه ، فقال ابن سماعة حين دخل للجماعة : هـذا أحمد بن حنبل ، فإن أمير المؤمنين ناظر في أمره ، وقد خلّى سبيله ، وها هو ذا ، فأُخرج على دابة لإسحق بن إبرهيم عند غروب الشمس ، فصار إلى منزله ومعه السلطانُ والناسُ ، وهو منحني ، فلما ذهب لينزل احتضنتُه ولم أعلمْ ، فوقعتْ يدي على موضع الضرب ، فصاح ، فنحّيْتُ يدي ، فنزل متوكئاً عليّ ، وأغلق الباب ، ودخلنا معه ، ورمى بنفسه على وجهه ، لا يَقدر يَتحركَ إلّا بجهد ، وخلع ما كان خُـلِعَ عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنَه فتصدق به .

وكان المعتصم أمر إسحق بن إبرهيم أن لا يقطع عنه خبره ، وذلك أنه نزل فيما حكَى لنا عند الإياس منه . وبلغنا أن المعتصم ندم وأُسقِط في يده حتى صلح ، فكان صاحبُ الخبرِ إسحق يأتينا كل يوم يعرف خبره ، حتى صحّ ، وبقيتْ إبهاماه متخلّعتين ، تضربان عليه في البرد ، حتى يُسخَّن له الماء ، ولما أردنا علاجَه خفنا أن يَدُسّ ابن أبي دُؤادٍ سمًّا إلى المعالج ، فعملنا الدواء والمرهم في منزلنا .

وسمعتُه يقول كل من ذكرني في حلّ إلا مبتدع ، وقد جعلت أبا إسحق ، يعني المعتصم ، في حلٍّ ، ورأيت الله تعالى يقول : (وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبّون

أن يغفر الله لكم)، وأمر النبي صلى الله عليه أبا بكر بالعفو في قصة مِسْطَحٍ ، قال أبو عبد الله : العفو أفضلُ ، وما ينفعُك أن يعذَّب أخوكَ المسلمُ في سَببك !

فصل في محنته من الواثق

قال حنبل : ولم يزل أبو عبد الله بعد أن بَرِئ من مرضه يحضر الجمعةَ والجماعةَ ، ويفتي ويحدث ، حتى مات المعتصم وولي ابنهُ الواثق ، فأظهرما أظهر من المحنة والميل إلى ابن أبي دؤاد وأصحابه ، فلما اشتد الأمر على أهل بغداد ، وأظهر القضاةُ المحنة ، وفُرِّق بين فضل الأنماطي وامرأته وبين أبي صالح وامرأته ، كان أبو عبد الله يشهد الجمعةَ ويعيد الصلاةَ إذا رجع ، ويقول : الجمعةُ تؤتى لفضلها ، والصلاةُ تعاد خلفَ من قال بهذه المقالة ، وجاء نفر إلى أبي عبد الله وقالوا : هذا الأمر قد فشا وتفاقم ، ونحن نخافه على أكثر من هذا ، وذكروا أن ابن أبي دؤاد على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن : القرآنُ كذا وكذا ، فنحن لا نرضى بإمارته ، فمنعهم من ذلك وناظرهم .

وحكى حنبل قصدَه في مناظرتهم وأمرهم بالصبر ، فبينا نحن في أيام الواثق إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة إسحق بن إبرهيم إلى أبي عبدالله : يقول لك الأمير ، إن أمير المؤمنين قد ذَكَركَ ، فلا يجتمعنّ إليك أحد ، ولا تساكنّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها ، فاذهب حيثُ شئتَ من أرض الله . فاختفى أبو عبد الله بقيةَ حياة الواثق ، وكانت تلك الفتنةُ وقتلُ أحمد بن نصر .

فلم يزل أبو عبد الله مختفياً في غير منزله في القرب ، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر وسنة لما طُفئ خبرُه ، ولم يزل فى البيت مختفياً لا يخرج إلى الصلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق .

وعن إبرهيم بن هانئ قال : اختفى أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلبْ لي موضعاً ، قلت : لا آمَنُ عليك ، قال : افعلْ ، فإذا فعلتَ أفدتُك ، فطلبت له موضعاً ، فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله صلى الله عليه في الغار ثلاثةَ أيام ثم تحوّل [١] .

قلتُ : أنا أتعجب من الحافظ أبي القاسم [٢] ، كيف لم يسق المحنة ولا شيئاً منها في تاريخ دمشق ، مع فرط استقصائه ، ومع صحة أسانيدها ! ! ولعل له نية في تركها [٣] .

---

(١) زاد ابن الجوزي ٣٥٠ بقية كلام الإمام أحمد : « وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله في الرخاء وتترك في الشدة » . وهي حكمة بالغة من الإمام ، ليت الناس فهموها وعملوا بها.

(٢) يريد الحافظ ابن عساكر ، مؤلف تاريخ دمشق .

(٣) ساق ابن الجوزي ٣٥٠ ـ ٣٥٢ وابن كثير ١٠ : ٣٢١ سبب ترك الواثق للمحنة ، المعنى واحد واللفظ لابن كثير ، قال : « وذكر عن محمد المهتدي بن الواثق : أن شيخاً دخل يوماً على الواثق ، فسلم فلم يردّ عليه الواثق ، بل قال : لاسلمّ الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك معلمك ، قال الله تعالى : (وإذا حُييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها ! فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، الرجل متكلم ، فقال : ناظره ، فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول ياشيخُ في القرآن ؟ أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألةُ لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذي تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يعلموه ! قال : فأنت علمتَ ما لم يعلمُوا ؟ ! فخجل وسكت ، ثم قال : أقلْني ، بل علموه ، قال : فلم لادعوا الناسَ إليه كما دعوتهم أنت ؟ أما يسعك ماوسعهم ؟ ! فخجل وسكت، وأمر الواثق له بجائزة نحو أربعمائة دينار، فلم يقبلها، قال المهتدي : فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه، ويقول : أما وسعك ما وسعهم ؟ ! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عينيه ابنُ أبي دؤاد ، ولم يمتحن بعده أحداً » .

فصل

في حال أبي عبد الله أيام المتوكل

قال حنبل : وليَ جعفر المتوكل ، فأظهر اللهُ السنةَ ، وفرّج عن الناس ، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل ، وسمعته يقول : ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا .

ثم إن المتوكل ذكره وكتب إلى إسحق بن إبرهيم في إخراجه إليه ، فجاء رسول إسحق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور ، فمضى أبو عبد الله ثم رجع ، فسأله أبي عما دُعي له ؟ فقال : قرأ عليّ كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر ، قال : وقال لي إسحق بن إبرهيم : ما تقول في القرآن ؟ فقلت : إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا ! فقال : لا تُعلم أحداً أني سألتك ! فقلت له : مسألة مسترشدٍ أو مسألة متعنّتٍ ؟ قال : بل مسألةُ مسترشد ، فقلت له : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا .

وخرج إسحق إلى العسكر ، وقدم ابنُه محمد خليفةً له ببغداد ، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمّل به وينفقُه ، وكانت عندي مائة درهم ، فأتيتُ بها إلى أبي فذهب بها إليه ، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه واكترى منها ، وخرج ، ولم يَلقَ محمد بن إسحق بن إبرهيم ولا سلّم عليه ، فكتب بذلك محمد إلى أبيه ، فحقدها إسحق عليه ، فقال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمداً مولاك ، فقال المتوكل يردّ ولو وطئ بساطي ، وكان عبد الله قد بلغ بُصْرَى [1] ، فوجه إليه رسولاً يأمره بالرجوع ، فرجع ، وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا ، وربما قرأ علينا في منزلنا .

---

(١) بصرى المشهورة : بالشأم ، وهذه بصرى أخرى ، من قرى بغداد قرب عكبراء . انظر معجم البلدان .

ثم إن رافعاً رفعَ إلى المتوكل : إن أحمد بن حنبل رَبَّصَ عَلَويّاً في منزله،
وإنه يريد أن يُخرجه ويُبايع عليه ، ولم يكن عندنا علم ، فبينا نحن ذات ليلة نيام
في الصيف ، سمعنا الجلبة ، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله ، فأسرعنا ، وإذا
أبو عبد الله قاعد في إزار ، ومظفرٌ بن الكلبي صاحبُ الخبر وجماعة معهم ، فقرأ
صاحب الخبر كتابَ المتوكل : وَرَدَ على أمير المؤمنين أن عندك علويّاً ربَّصته
لتُبايع له وتُظهره ، في كلام طويل ، ثم قال له مظفر : ما تقول ! قال : ما أعرف
من هذا شيئاً ، وإني لأرى له السمع والطاعة في عُسْري ويُسْري ، ومَنْشَطي ،
ومَكْرَهي وأَثَرَةٍ عليّ [١] ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار ،
في كلام كثير غير هذا ، فقال ابن الكلبي : قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلِّفك !
قال : فأحلفه بالطلاق ثلاثاً : أن ما عنده طَلِبَةُ أمير المؤمنين ! قال : وفتشوا منزل
أبي عبد الله ، والسربَ ، والغُرف ، والسطوح ، وفتشوا تابوتَ الكتب ، وفتشوا
النساء والمنازل ، فلم يروا شيئاً ، ولم يحسّوا بشيء ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ،
فكتب بذلك إلى المتوكل ، فوقع منه موقعاً حسناً ، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه ،
وكان الذي دسَّ عليه رجل من أهل البدع . ولم يَمُتْ حتى بَيَّنَ الله أمرَه للمسلمين ،
وهو ابن الثَّلْجي [٢] .

---

(١) اشارة الى حديث عبادة بن الصامت ، أخرجه مسلم ٢/٨٦ : بايعنا رسول الله على السمع والطاعة ... الخ .

(٢) محمد بن شجاع : هو الامام أبو عبدالله محمد بن شجاع الثلجى البغدادى ، وهو قضاعى ، ومن يقول عنه (ابن الثلجى) يريد انتقاصه بأن أباه كان بائع ثلج . وغاية ما يعاب عليه به أنه لم يكن يعامل العامة وحشوية زمنه بالسياسة مترفعا عن المداهنة مفضلا الصراحة فى كل شىء فطالت ألسنة كثير من مخالفيه بأنه كان يمالىء المعتزلة ، ويخالف السلف ، ولم يكن له أى مخالفة للسلف الصالح وانما كانت مخالفته لمن لا يميز بين السنة والبدعة .

من شيوخه : الواقدى ، وغيره من أئمة الفقه والحديث ، وتفقه عليه : الحافظ الدولابى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) وأحمد بن أبى عمران شيخ الطحاوى .

وحيث أن محمد بن شجاع كان مكثرا للغاية من الحديث فيحتاج استيفاء ذكر شيوخه الى تأليف خاص ، وكذلك ذكر أصحابه وتلاميذه لما نشر الله سبحانه له فى بلاد كثيرة شرقا وغربا من علومه ومؤلفاته بواسطة هؤلاء التلاميذ والأصحاب الذين انتشروا فى الآفاق . وذلك لبالغ اخلاصه فى خدمة الفقه والحديث .

قال عنه الذهبى فى سير النبلاء : أحد الأعلام ، كان من بحور العلم ، وكان صاحب تعبد وتهجد وتلاوة ، وله كتاب المناسك فى نيف وستين جزءا .

٤٤ ت

وقال ابن النديم فى الفهرست : هو مبرز على نظرائه من أهل زمانه ، وكان فقيها ورعا ثبتا عالى المنزلة فى الاجتهاد .

وقد نقل ابن الجوزى عن ابن عدى أنه كان يضع الحديث فى التشبيه وينسبها الى أهل الحديث ، ولكن البدر العينى قال : من جملة تصانيفه : الرد على المشبهة . فكيف يصح عنه ذلك .

وقال الحاكم فى معرفة علوم الحديث : هو كثير التصنيف ، كثير الحديث فانخداع بعض من ألف فى الرجال بما سطره أهل العدوان من الحشوية مما يؤسف له وذلك من جهلهم بالدخائل فى كلمات هؤلاء النقلة وعدم دراستهم للكتب الرجال .

ولابن عدى انحراف عجيب عن أبى حنيفة وأصحابه ، فلا تجد فى كتابه الكامل كلمة واحدة فى الثناء على واحد منهم بل كلامه كله تجريح وتشنيع فيهم .

توفى محمد بن شجاع سنة ٢٥٧ هـ ، وقيل ٢٦٠ .

وأشار فؤاد سزكين فى ٩/٢ الى أنه كان ورعا مرموق المكانة ومن آثاره : المناسك ، تصحيح الآثار ، المضاربة ، « كتاب الرد على المشبهة » .

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوبُ أحدُ حجَّاب المتوكل قد جاء ، فاستأذن على أبي عبد الله ، فدخل ودخل أبي وأنا ومع بعض غلمانه بَدْرةٌ على بغل ، ومعه كتاب المتوكل ، فقرأه على أبي عبد الله : إنه صح عند أمير المؤمنين براءةُ ساحتك ، وقد وَجَّه إليك بهذا المال تستعين به ، فأبى أن يقبله ، فقال : مالي إليه حاجة . فقال : يا أبا عبد الله ، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به ، فإن هذا خير لك عنده ، فاقبلْ ولا تَردَّه ، فإنك إن رددته خفتُ أن يَظنَّ بك سوءاً ، فحينئذ قبلها ، فلما خرج قال : يا أبا علي ، قلت : لبيك ، قال : ارفع هذه الإنْجَانَةَ وضَعْها ، يعني البدرة ، تحتها ، فوضعتها وخرجنا ، فلما كان من الليل إذا أُمُّ ولدِ أبي عبد الله تدقّ علينا الحائط ، فقلت لها : مالكِ ؟ قالت : مولاي يدعو عمَّه ، فأعلمتُ أبي ، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله ، وذلك في جوف الليل ، فقال : ياعَمّ ، ما أخذني النومُ هذه الليلة ، فقال له أبي : ولِم ؟ قال : لهذا المال ، وجعل يتوجّع لأخذه ، وجعل أبي يُسَكِّته ويسهِّل عليه ، فقال : حتى تصبِحَ وترى فيه رأيَك ، فإن هذا ليل ، والناس في منازلهم ، فأمسكَ وخرجنا ، فلما كان في السحر وجَّه إلى عبدوس بن مالك والحسن بن البزّار فحضرا ، وحضر جماعة ، منهم هرون الحمَّال ، وأحمد بن مَنيع ، وابنُ الدَّوْرَقي ، وأنا ، وأبي ، وصالح ، وعبد الله ، فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل السَّتر والصلاح ببغدادَ والكوفة ، فوجَّه منها إلى أبي سعيد الأشجّ ، وإلى أبي كُرَيب ، وإلى من ذكر من أهل العلم والسنة ، ممن يعلمون أنه محتاج ، ففرقها كلَّها ، مابين الخمسين إلى المائة والمائتين ، فما بقي في الكيس درهم ، ثم تصدق بالكيس على مسكين .

فلما كان بعد ذلك مات إسحق بن إبرهيم وابنه محمد ، ووليَ بغدادَ عبدُ الله بن إسحق ، فجاء رسوله إلي أبي عبد الله ، فذهب إليه ، فقرأ عليه كتاب المتوكل ، فقال له : يأمرك بالخروج ، فقال : أنا شيخ ضعيف عليل ، فكتب عبد الله بما ردَّ عليه ، فورد جوابُ الكتاب بأن أمير المؤمنين يأمره بالخروج ، فوجَّه عبد الله

جنوده فباتوا على بابنا أياماً ، حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج ، فخرج وخرج
وعبد الله وأبي ، زُمَيْلة .

قال صالح : كان حَمل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين ، فكان قلَّ يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه .

قال حنبل في حديثه : وقال أبي : ارجع ، فرجعت ، فأخبرني أبي قال : لما دخلنا إلى العسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيف ، وإذا فارس قد أقبل ، فقال لأحمد : الأميرُ وصيف يقرئك السلام ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يَقْبلُ منك ، فلا تَدَعْ شيئاً إلا تكلمت به ، فما ردَّ عليه أبو عبد الله شيئاً ، وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين ، ودعوتُ لوصيف ، ومضينا ، فأنزلنا في دار التياح ولم يعلم أبو عبد الله ، فسأل بعد ذلك : لمن هذه الدار ؟ قالوا : هذه دار التّيَّاح ، فقال : حَوِّلوني ، اكتروا لي داراً ، قالوا : هذه دار أنزلكها أميرُ المؤمنين ، قال : لا أبيت ههنا ، قال أبي : فلم نزل حتى اكترينا له داراً ، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكلُ والفاكهةُ والثلجُ وغير ذلك ، فما نظر إليها أبو عبد الله ، ولا ذاق منها شيئاً ، وكانت نفقة المائدة كل يوم مائةً وعشرين درهماً ، وكان يحيى بن خاقانَ وابنه عبيد الله وعليّ بن الجهم يأتون أبا عبد الله ، ويختلفون إليه برسالة المتوكل ، ودامت العلة بأبي عبد الله ، وضعف ضعفاً شديداً ، وكان يواصل ، فمكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب ، فلما كان في اليوم الثامن دخلتُ عليه ، وقد كاد أن يَطْفأ ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ابنُ الزبير كان يواصل سبعةَ أيام ، وهذا لك اليوم ثمانية أيام ، قال : إني مطيق ، قلت : بحقي عليك ؟ قال : فإني أفعل ، فأتيته بسَويق فشرب ، ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فردَّه ، فقال له عُبيد الله بن يحيى : فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك ، قال : هم مستغنون ، فردها عليه ، فأخذها عبيد الله

فقسمها على ولده وأهله ، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية ، وليست بهم حاجة ، فبعث إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، ما لك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله ، فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل .

وجرى بين أبي عبد الله و بين أبي في ذلك كلام كثير ، وقال : ياعمّ ، ما بقي من أعمارنا ؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا ، فاللهَ اللهَ ، فإن أولادنا إنما يريدون يتأكّلون بنا ، وإنما هي أيام قلائل ، لو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر ، صبر قليل ، وثواب طويل ، إنما هذه فتنة ، قال أبي : فقلت : أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر ، قال : فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم ؟ لو تركتموها لتركوكم ، وقال : ماذا ننتظر ؟ إنما هو الموت ، فإما إلى جنة ، وإما إلى نار ، فطوبى لمن قدم على خير ، قال أبي : فقلت له : أليس قد أُمِرْتَ ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه ؟ قال : قد أخذتَ مرةً بلا إشراف نفس ، فالثانية والثالثة ! فما بال نفسك ألم تستشرف ؟ فقلتُ : ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس ؟ فقال : ما هذا وذاك ! ! وقال : لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أُبال

قال حنبل : فلما طالت علةُ أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بابن ماسويهِ المُتَطبِّب ، فيصف له الأدوية ، فلا يتعالج ، ويدخل المتطبب على المتوكل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد ليست به علة في بدنه ، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

و بلغ أمَّ المتوكل خبرُ أبي عبد الله ، فقالت لابنها : أشتهي أن أرى هذا الرجل ، فوجّه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتزّ ويسلمَ عليه ويدعوَ له ويجعله ، في حجره ، فامتنع أبو عبد الله من ذلك ، ثم أجاب رجاء أن يُطْلَقَ

وينحدر إلى بغداد . فوجّه إليه المتوكلُ خلفه ، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتزّ فامتنع ، وكانت عليها مِيثَرَةُ نمورٍ ، فقُدِّم إليه بغل لرجل من التجار فركبه ، وجلس المتوكل مع أمّه في مجلسٍ من المكان ، وعلى المجلس سِترٌ رقيق ، فدخل أبو عبد الله على المعتزّ ، ونظر إليه المتوكلُ وأمه ، فلما رأته قالت : يا بُنيّ ، اللهَ اللهَ في هذا الرجل ، فليس هذا ممن يريد ما عندكم ، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله ، فاذنْ فليذهب ، فدخل أبو عبد الله على المعتزّ ، فقال : السلام عليكم ، وجلس ولم يسلم عليه بالإمْرَة ، قال : فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول : لما دخلت عليه وجلست قال مؤدِّب الصبيّ : أصلح الله الأميرَ ، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدّبُك ويعلمك ، فردّ عليه الغلام ، وقال : إن علمني شيئاً تعلمته ! قال أبو عبد الله : فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره ، وكان صغيراً .

قال : ودامت علةُ أبي عبد الله ، وبلغ الخليفة ما هو فيه ، وكلمه يحيى بن خاقان أيضاً ، وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا ، فأذن له في الانصراف ، فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمرَ أن تُفرش لك حرّاقة تنحدرُ فيها ، فقال : أبو عبد الله : اطلبوا لي زورقاً فأنحدرَ فيه الساعةَ ، فطلبوا له زورقاً فانحدر فيه من ساعته .

قال حنبل : فما علمنا بقدومه ، حتى قيل لي : إنه قد وافى ، فاستقبلته بناحية القطيعة ، وقد خرج من الزورق ، فمشيت معه ، فقال لي : تقدمْ لا يراك الناسُ فيعرفوني ، فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل ، فلما دخل ألقى نفسه على قفاه من التعب والعيَاء .

وكان في حياته ربما استعار الشيءَ من منزلنا ومنزل ولده ، فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار ، امتنع من ذلك ، حتى لقد وُصف له في علته قرعة تُشوَى ،

ويُؤخذ ماؤها ، فلما جاؤوا بالقرعة ، قال بعض من حضر : اجعلوها في تنور ، يعني في دار صالح ، فإنهم قد خبزوا ، فقال بيده : لا . ومثل هذا كثير .

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه وتفتيش بيوتهم على العلوي ، ثم ورود يعقوبَ قَرْقَرَةَ ومعه العشرة الآلاف ، وأن بعضها كان مائتي دينار ، والباقي دراهم ، قال : فجئت بإجانة خضراء فأكببتها على البَدْرَة ، فلما كان عند المغرب قال : ياصالح ، خذ هذا صيِّرْه عندك ، فصيرته عند رأسي فوق البيت ، فلما كان سَحَرٌ إذا هو ينادي : ياصالح ، فقمتُ وصعدت إليه ، فقال : مانمت ، قلت : لِمَ يا أبَهْ ؟ فجعل يبكي ، وقال : سلِمتُ من هؤلاء ، حتى إذا كان في آخر عمري بُلِيت بهم ، قد عزمت عليك أن تفرِّق هذا الشيء إذا أصبحتَ ، فقلت : ذاكَ إليك . فلما أصبح جاءه الحسن بن البزّار ، فقال : جئني يا صالح بميزانٍ ، وَجِّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ، ثم وجّه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته ، وإلى فلان ، حتى فرقها كلَّها ، ونحن في حالةٍ اللهُ بها عليم ، فجاءني ابنٌ لي فقال : يا أَبَهْ ، أعطني درهماً ، فأخرجت قطعةً فأعطيته ، فكتب صاحبُ البريد : إنه تصدق بالدراهم في يومه حتى تصدق بالكيس ، قال علي بن الجهم : فقلت يا أمير المؤمنين ، قد تصدق بها وعَلِمَ الناس أنه قد قبل منك ، مايصنع أحمد بالمال ؟! وإنما قوته رغيفٌ ، قال : فقال لي : صدقت يا علي .

قال صالح : ثم ج أبي ليلاً ومعنا حُرّاس معهم النفّاطات ، فلما أصبح وأضاء الفجر قال ي : يا صالح ، معك دراهم ؟ قلت : نعم ، قال : أعطهم ، فلما أصبحنا جعل يعقوبُ يسير معه ، فقال له : يا أبا عبد ، ابن الثلجيّ بلغني أنه كان يذكرك ، فقال له : يا أبا يوسف ، سل الله العافية ، فقال له : يا أبا عبد الله ، تريد أن نؤدّيَ عنك رسالة إلى أمير المؤمنين ؟ فسكت ، فقال : إن عبد الله بن إسحق

أخبرني أن الوابصيَّ[1] قال له : إني أشهد عليه أنه قال : إن أحمد يعبدُ ماني ! فقال : يا أبا يوسف ، يكفي اللهُ ، فغضب يعقوب والتفت إليَّ فقال : ما رأيت أعجب مما نحن فيه ، أسأله أن يطلق لي كلمةً أُخبرُ أمير المؤمنين فلا يفعل ! !

قال : ووجَّه يعقوب إلى المتوكل بما عمل ، ودخلنا العسكر ، وأبي منكَّسُ الرأس ورأسه مغطَّى ، فقال له يعقوب : اكشف رأسك يا أبا عبد الله ، فكشفه ، ثم جاء وصيفٌ يريدُ الدارَ ، ووجَّه إليه بعدما جاز بيحيى بن هرثمة فقال: يُقرئك أميرُ المؤمنين السلامَ ، ويقول : الحمد لله الذي لم يشمِّتْ بك أهلَ البدع ، قد علمتَ ما كان من حال ابن أبي داؤد ، فينبغي أن تتكلم بما يحب الله ، ومضى يحيى ، وأُنزل أبي دارَ إيتاخ ، فجاء عليّ بن الجهم وقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكانَ تلك التي فرّقها ، وأمر أن لا يُعلم شيخُكم بذلك فيغتمَّ ، ثم جاءه محمد بن معاوية فقال : إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ، ويقول : يقيم ههنا يحدِّث ، فقال : أنا ضعيف .

ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال : يا أبا عبد الله ، قد أمر أمير المؤمنين أن أصيرَ إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله ، يعني المعتز ، ثم قال لي : قد أمرني أمير المؤمنين يُجرَى عليك وعلى قراباتك أربعة آلاف درهم تفرقها عليهم ، ثم عاد يحيى من الغد فقال : يا أبا عبد الله ، تركب ؟ قال : ذاك إليكم ، ولبس إزاره وخفَّه ، وكان خفه له عنده نحو من خمسة عشر عاماً ، قد رُقع برقاعٍ عدة ، فأشار يحيى أن يَلبس قلنسوة ، قلت : ما له قلنسوة ، إلى أن قال : فدخل دار المعتز ، وكان قاعداً على دكان في الدار ، فلما صعد الدكان قعد ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن أمير المؤمنين جاء بك ليُسَرَّ بقربك ويُصيِّر أبا عبد الله ابنَهُ في حجرك ، فأخبرني بعض الخدم

---

(١) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر ، من ولد وابصة بن معبد ، كان يتولى قضاء بغداد ، مات سنة ٢٤٩ . له ترجمة في تاريخ بغداد ١٤ : ٥٢ - ٥٣ والتهذيب ٦ : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

أن المتوكل كان قاعداً وراء سِتْر ، فلما دخل أبي الدارَ قال لأمه : يا أُمَّهْ ، قد نارت الدار ، ثم جاء خادم بمنديل ، فأخذ يحيى المنديل ، وذكر قصةً في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة ، وهو لا يحرك يده ، ثم انصرف .

وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سواداً ، فلما صار إلى الدار نزع الثياب ، ثم جعل يبكي ، فقال : سلمتُ من هؤلاء منذ ستين سنةً ، حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم ! ما أحسبني سلمتُ من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بمن يجب عليَّ نصحه من وقت تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟ ! يا صالح ، وجّه بهذه الثياب إلى بغداد تباع و يتصدق بثمنها ، ولا يشتري أحدٌ منكم منها شيئاً ، فوجهتُ بها إلى يعقوب بن بُخْتان [(١)] فباعها وفرق ثمنها ، و بقيت عندي القلنسوة .

قال : ومكث خمسة عشر يوماً يفطر في كل ثلاث على ثُمُن سَوِيق ، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلةً على رغيف وليلةً لا يفطر ، وكان إذا جيء بالمائدة توضع بالدِّهليز لئلاّ يراها ، فيأ كلُ من حضر ، فكان إذا أجهَدَه الحرُّ بَلَّ خرقةً فيضعُها على صدره ، وفي كل يوم يوجّه إليه بابن ماسَوَيْه ، فينظر إليه ويقول : يا أبا عبد الله ، أنا أميلُ إليك و إلى أصحابك ، وما بك عِلة إلاّ الضعف وقلةُ الرِّزّ .

إلى أن قال : وجعل يعقوب وغِياث يصيران إليه ، و يقولان له : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول في ابن أبي دؤادٍ وفي ماله ؟ فلا يجيب في ذلك بشيء ، وجعل يعقوبُ ويحيى يخبراه بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم ، ثم أُحدر إلى

---

(١) يعقوب بن اسحق بن بختان أبو يوسف سمع من الامام أحمد وكان من أصحابه ، لابل كان جاره وصديقه ، وروى عنه مسائل صالحة كبيرة ، لم يروها غيره فى الورع .

كان أحد الصالحين الثقات ، روى عنه أبو بكر بن أبى الدنيا ، وجعفر الصندلى ، وأحمد بن أبى شيبة ، وقال عنه أبو بكر بن أبى الدنيا : « أبو يوسف من خيار المسلمين » .

بغداد بعد ما أُشهد عليه ببيع ضِياعه . وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي ، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ .

وأمر المتوكلُ أن يُشترى لنا دار ، فقال : يا صالح ! قلت : لبّيك ، قال : لئن أقررتَ لهم بشراء دار لتكوننّ القطيعةُ بيني وبينكم ، إنما يريدون أن يصيّروا هذا البلدَ لي مأوًى ومسكناً ، فلم نزل ندْفع شراء الدار حتى اندفع .

وجعلتْ رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره ، ويصيرون إليه فيقولون : هو ضعيف ، وفي خلال ذلك يقولون : يا أبا عبد الله ، لابد من أن يراك ، وجاءه يعقوب فقال : يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول : انظرْ يوماً تَصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه ؟ فقال : ذاك إليكم ، فقال : يوم الأربعاء يومٌ خالي ، وخرج يعقوب ، فلما كان من الغد جاء فقال : البشرى يا أبا عبد الله ، أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول : قد أعفيتُك عن لبس السواد والركوب إلى ولاة العهود وإلى الدار ، فإن شئتَ فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف ، فجعل يحمد الله على ذلك .

ثم قال يعقوب : إن لي ابناً وأنابه مُعْجَب ، وإن له من قلبي موقعاً ، فأحبُّ أن تحدّثه بأحاديثَ ، فسكت ، فلما خرج قال : أتُراه لا يرَى ما أنا فيه !

وكان يختم من جمعة إلى جمعة ، وإذا ختم دعا ، فيدعو ونؤمّن ، فلما كان غداة الجمعة وجّه إلي وإلى أخي ، فلما ختم جعل يدعو ونحن نؤمّن ، فلما فرغ جعل يقول : أستخيرُ الله ، مرات ، فجعلت أقول : ما يريد ؟ ثم قال : إني أعطي اللهَ عهداً إن عهده كان مسؤولاً ، وقال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أني لا أحدّث حديثَ تمَام أبداً حتى ألقى الله ، ولا أستثني منكم أحداً ، فخرجنا وجاء عليّ بن الجَهم فأخبرناه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأُخبر المتوكل بذلك ، وقال : إنما يريدون أُحدّثُ ويكون هذا البلد حبْسِي ، وإنما كان سبب الذين

أقاموا بهذا البلد لما أُعطوا فقبلوا وأُمروا فحدّثوا . وجعل أبي يقول : والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان ، وإني لأتمنى الموتَ في هذا ، وذلك أن هذا فتنة الدنيا ، وذاك كان فتنةَ الدين ، ثم جعلّ يضم أصابع يده ويقول : لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها ، ثم يفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه فى كل وقت يسأله عن حاله . وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال ، ويقول : يُوصل إليهم ولا يُعلم شيخُهم فيغتمّ ، ما يريد منهم ؟ إن كان هو لا يريد الدنيا فلم يمنعهم ؟ !

وقالوا للمتوكل : إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ، ويحرم الذي تشرب ! فقال لهم : لو نشر المعتصم . وقال فيه شيئاً لم أقبل منه .

قال صالح : ثم انحدرت إلى بغداد ، وخلفت عبد الله عنده ، فإذا عبدُ الله قد قَدم وجاء بثيابي التي كانت عنده ، فقلت : ما جاء بك ؟ فقال : قال لي انحدر ، وقل لصالح : لا تخرج فأنتم كنتم آفتي ، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي ، لولا كم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ ولمن كانت تفرش هذه الفرش ، وتجري الأمراء ؟ ! فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبد الله ، فكتبَ إليّ بخطه : « أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي حملني على الكتاب إليك الذي قلتُ لعبد الله لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويَخْمُدُ ، إذا كنتم ههنا فشا ذكري ، وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا ، ولم يكن إلا خير ، فإن أقمتَ فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي ، ولا تجعل في نفسك إلا خيراً ، والسلام عليك ورحمة الله » .

قال : ولما خرجنا من العسكر رفعت المائدة والفرش ، وكل ما أقيم لنا ، ثم ذكر صالح كتاب وصيته .

ثم قال : وبعث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها ، فجاء علي بن الجهم في

جوف الليل ، فأخبره بأنه يهيئ له حرّاقة ينحدر فيها ، ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أذنَ لك ، وقد أمر لك بهذه ، فقال : قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره ، فردّها وقال : أنا رقيق على البرد والظهر ، أرفق بي فكُتب له جواز ، وكَتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاهده ، فقدم علينا .

ثم قال بعد قليل : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : أُحبُّ أن تدع هذا الرزق ، فانما تأخذونه بسببي ، فسكت ، فقال : مالك ؟ قلت : أكره أن أعطيك شيئاً بلساني وأُخالف إلى غيره ، وليس في القوم أكثرُ عيالاً مني ولا أعذر ، وقد كنت أشكو إليك ، وتقول أمرك منعقد بأمري ، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة ، وقد كنت تدعو لي ، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك ، فقال : والله لا تفعل ، فقلت : لا ، فقال: لم ؟ فعلَ الله بك وفعلَ !

ثم ذكر قصةً في دخول عبد الله عليه وقوله له وجوابه له ، ثم دخول عمه عليه وإنكاره للأخذ ، إلى أن قال : فهجرَنا ، وسدَّ الأبواب بيننا وبينه ، وتحامَى منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء ، ثم أُخبر بأخذ عمه ، فقال : نافقتني وكَذَبتني ، ثم هجره ، وترك الصلاة في المسجد وخرج إلى مسجد خارج يصلّي فيه .

ثم ذكر قصةً في دعائه صالحاً ومعاتبته في ذلك ، ثم في كتبته إلى يحيى بن خاقان ليترك معونةَ أولاده ، وبلوغ الخبر الى المتوكل ، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر ، وهو أربعون ألف درهم ، إليهم ، وأنه أُخبر بذلك ، فسكت قليلاً ، وضرب بذقنه على صدره ، ثم رفع رأسه ، فقال : ما حيلتي أن أردتُ أمراً وأراد الله أمراً .

قال أبو الفضل صالح : وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله ، فتأخذه نفضة حتى نُدَثِّرَه ، ثم يقول : والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها.

وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول : لو سَلِم أحد من الناس سلمتَ ، رَفع رجل إليّ أن علوياً قدم من خراسان ، وأنك وجهت إليه من يلقاه ، وقد حبستُ الرجل.

وأردت ضربه ، فكرهت أن تغتمّ فمرّ فيه ، قال : هذا باطل ، يخلى سبيله

ثم ذكر قصةً في قدوم المتوكل بغداد ، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم ، ثم في مجيء يحيى بن خاقان من عند المتوكل ، وما كان من احترامه ومجيئه بألف دينار ليفرقها ، وقوله : قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره ، وفي توجيه محمد بن عبد الله بن طاهر إليه ليحضره ، وامتناعه من حضوره ، وقوله : أنا رجل لم أخالط السلطان ، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أُكره .

قال : وكان قد أدمن الصوم لما قدم ، وجعل لا يأكل الدّسَم ، وكان قبل ذلك يُشتَرى له الشحمُ بدرهم فيأكل منه شهراً !! فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والعملَ ، فتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم يفعل ذلك .

وقال الخلال أبو بكر : حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المرّوذي حدثهم : كان أبو عبد الله بالعسكر يقول : انظر هل تجد لي ماء الباقلاّ ؟ فكنت ربما بللت خبزةً بالماء فيأكلها بالملح ، وربما أنه منذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخاً ولا دسماً .

وعن المروذى قال : أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة ، وكان قد واصل ، فإذا هو قاعد ، فقال : هوذا يُدَارُ بي من الجوع ، فأطعمني شيئاً ، فجئته بأقلّ من رغيف فأكله ، قال : لولا أني أخاف العون على نفسي ما أكلت . وكان يقوم من فراشه إلى المخرج ، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع ، وحتى إن كنت لأبلُّ الخرقة فيلفها على وجهه ، لترجع إليه نفسه ، حتى أوصى من الضعف من غير مرض ، فسمعته يقول عند وصيته ، ونحن بالعسكر ، وأشهدَ على وصيته : « هذا ما أوصى به أحمد بن محمد ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » ، وذكر ما يأتي .

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر

وماً ، ما ذاق شيئاً إلا مقدار ربع سويق ، ورأيت ما في عينيه قد دخلا في حدقتيه .

وقال صالح بن أحمد : وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين ، ويحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين ، وأوصى أني قد رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ، وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوارن عليّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو مصدَّق فيما قال ، فيُقْضَى ماله عليَّ من غلة الدار إن شاء الله تعالى ، فإذا استوفى أُعطي ولدُ صالحٍ وعبد الله ابنَيْ أحمد بن محمد بن حنبل ، كلُّ ذكر وأنثى عشرة دراهم ، بعد وفاء مال أبي محمد ، شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد » .

أُنبئْتُ عن ... ع أبا علي الحداد أخبرنا أبو نُعيم في الحلية ... حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب عُبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن ، لامسألة امتحان ، ولكن مسألة معرفة وتبصرة . فأملى عليَّ أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى ، وحدي ما معي أحد .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها ، ودَفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته . قد كتبتُ إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن ، بما حضرني ، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه ،

حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين ، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة ، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس ، فصرف الله ذلك كله ، وذهب به بأمير المؤمنين ، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً ، ودعوا الله لأمير المؤمنين ، [وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء ، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين] ، وأن يزيد في نيته ، وأن يعينه على ما هو عليه ، فقد ذكر عن عبد الله بن عباس أنه قال : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم ، وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه ، فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا ؟ فسمع رسول الله صلى الله عليه فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان ، فقال : بهذا أمرتم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا ، إنكم لستم مما ههنا في شيء ، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه . وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال : مراء في القرآن كفر . وروي عن أبي جهم ، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه ، عن النبي صلى الله عليه قال : لا تماروا في القرآن ، فإن مراء فيه كفر . وقال ابن عباس : قدم على عمر بن الخطاب رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرأ القرآنَ منهم كذا وكذا ، فقال ابن عباس : فقلتُ : والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال: فزبرني عمر ، وقال : مَهْ ، فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أميرَ المؤمنين ، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي فخلا بي ، فقال : ما الذي كرهتَ ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقّوا (١) ، ومتى ما يحتقّوا

---

(١) يحتقوا : أى يقول كل واحد منهم : الحق معى .

يُختصموا ، ومتى ما يُختصموا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : لله أبوك ! والله إن كنتُ لأكتمها الناسَ حتى جئتَ بها . ورُوي عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه يعرض نفسَه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي . ورُوي عن جُبَير بن نُفَير قال رسول الله صلى الله عليه : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضلَ مما خرج منه ، يعني القرآن . ورُوي عن ابن مسعود أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عز وجل . ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن هذا القرآن كلام الله ، فضعوه مواضعَه . وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرتُه كدت أن آيسَ[1] وينقطع رجائي ، فقال : إن القرآن كلام الله ، وأعمال ابن آدم إلى الضّعف والتقصير ، فاعمل وأبشر . وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جاراً لخبّاب ، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه ، فخرجت معه يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي ، فقال : يا هَنَاهْ ، تقرب إلى الله بما استطعتَ ، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه . وقال رجل للحكم بن عُتيبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟ قال: الخصومات . وقال معاوية بن قُرّة ، وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه : إياكم وهذه الخصومات ، فإنها تحبط الأعمال . وقال أبو قِلَابة ، وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه : لا تجالسوا أهل الأهواء ، أو قال : أصحاب الخصومات ، فإنه لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعضَ ما تعرفون . ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بحديث ؟ قال : لا ، قالا : فنقرأ عليك آيةً ؟ قال : لا ، لَتَقُومَانِ عني أو

---

(١) فى المعجم الوسيط ٣٤/١ (أيس) منه ـ ايسا ـ واياسا : يئس وانقطع رجاؤه فهو آيس وأيس .

لأقومَنَّه ، فقاما ، فقال بعض القوم : يا أبا بكر ، وما عليك أن يقرأ عليك آية ؟ قال : إني خشيت أن يقرأ عليَّ آية فيحرفانها ، فيقرّ ذلك في قلبي ، ولو أعلم أني أكون مثلي الساعة لتركتهما . وقال رجل من أهل البدع لأيوب السَّختياني : يا أبا بكر ، أسألك عن كلمة ؟ فولّى وهو يقول بيده : ولا نصف كلمة . قال ابن طاوس لابنٍ له يكلمه رجل من أهل البدع : يا بني ، أدخل أصبعيك في أذنيك ، حتى لا تسمع ما يقول ، ثم قال : اشددْ اشددْ . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل . وقال إبرهيم النخعي[1] : إن القوم لم يُدَّخر عنهم شيء خُبِّئ لكم لفضل عندكم . وكان الحسن رحمه الله يقول : شر داء خالط قلباً ، يعني الأهواء . وقال حذيفة بن اليمان : اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم ، والله لئن استقمتم لقد سَبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً ، أو قال : مبيناً . قال أبي : وإنما تركتُ ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي قد حلفتُ بها مما قد علمه أمير المؤمنين ، لولا ذاك ذكرتها بأسانيدها . وقد قال الله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) . وقال : (ألا له الخلق والأمر) فأخبر بالخلق ، ثم قال (والأمر) ، فأخبر أن الأمر غير الخلق . وقال عز وجل : (الرحمن . علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ، فأخبر أن القرآن من علمه . وقال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) . وقال : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة

---

(١) ابراهيم النخعي : أدرك جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وعائشة ، يروى عن التابعين كعلقمة ومسروق والأسود توفى سنة ٩٥ هـ كان صير في الحديث ماهرا فى نقده وتمييز صحيحه من ضعيفه .

بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ، إنك إذاً لمن الظالمين) .
وقال تعالى : (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا واقٍ) . فالقرآن من علم الله ، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه هو القرآن ، لقوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) . وقد رُوي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لستُ بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا ، إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديثٍ عن النبي صلى الله عليه ، أو عن أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود » .

قلت : رواةُ هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات ، أشهد بالله أنه أملاها على ولده ، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه ، كرسالة الإصطخري ، ففيها نظر ، والله أعلم .

ذكر مرضه رحمه الله

قال ابنه عبد الله : سمعت أبي يقول : استكملتُ سبعاً وسبعين سنة . فحُمّ من ليلته ومات يوم العاشر .

وقال صالح : لما كان في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين حُمّ أبي ليلة الأربعاء ، وبات وهو محموم ، يتنفس تنفساً شديداً ، وكنت قد عرفت علته ، وكنت أُمَرّضه إذا اعتلّ ، فقلت له : يا أبت ، على ما أفطرتَ البارحة ؟ قال : على ماء باقِلاّ ، ثم أراد القيام فقال : خذ بيدي ، فأخذت بيده ، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف إليه غيرُ متطبب ، كلهم مسلمون ، فوصف له متطبب قرعةً تُشوى ويُسقى ماؤها — وهذا يوم الثلاثاء

فتوفي يوم الجمعة — فقال : يا صالح ، قلت : لبيك ، قال : لاتُشوى في منزلك ولا في منزل أخيك ، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده ، فحجبه ، وأتى ابنُ علي بن الجعد فحجبه ، وكثر الناس ، فقال : أي شيء ترى ؟ قلت : تأذن لهم فيدعون لك ، قال : أستخير الله تعالى ، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً حتى تمتلئ الدار ، فيسألونه و يدعون له ، ثم يخرجون و يدخل فوج آخر ، وكثر الناس ، وامتلأ الشارع ، وأغلقنا باب الزقاق ، وجاء رجل من جيراننا قد خضب ، فقال أبي : إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من السنة فأفْرَحُ به ، [فدخل فجعل يدعو له ، فجعل يقول : له ولجميع المسلمين ، وجاء رجل فقال : تلطف لي بالإذن عليه ، فإني قد حضرتُ ضربه يوم الدار ، وأريد أن أستحله ، فقلت له . فأمسك ، فلم أزل به حتى قال : أدخله ، فأدخلته ، فقام بين يديه وجعل يبكي ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا كنتُ ممن حضر ضربَك يوم الدار ، وقد أتيتك ، فإن أحببتَ القصاص فأنا بين يديك ، وإن رأيتَ أن تحلني فعلتَ ، فقال : على أنْ لاتعود لمثل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد جعلتك في حل ، فخرج يبكي ، و بكى من حضر من الناس] ، وكان له في خُرَيقةٍ قُطيعاتٌ ، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له ، وقال لي يوم الثلاثاء : انظر في خُرَيْقتي شيء ، فنظرت فإذا فيها درهم ، فقال : وجّه اقتَضِ بعضَ السكان ، فوجهتُ فأُعطيت شيئاً ، فقال : وجّه فاشترِ تمراً وكفِّر عني كفارةَ يمين ، و بقي ثلاثةُ دراهم ، أو نحو ذلك ، فأخبرته ، فقال : الحمد لله ، وقال : اقرأ عليَّ الوصية ، فقرأتها عليه ، فأقرها ، وكنت أنام إلى جنبه ، فإذا أراد حاجةً حركني فأناوله ، وجعل يحرك لسانه ، ولم يَئِنَّ إلا في الليلة التي توفي فيها ، ولم يزل يصلي قائماً أُمسكه ، فيركع ويسجد ، وأرفعه في ركوعه ، واجتمعتْ عليه أوجاع الحصر ، وغير ذلك ، ولم يزل عقله ثابتاً ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لساعتين من النهار ، تُوُفي .

وقال المرُّوذي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين . خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً ، يسلمون عليه ويرد عليهم بيده ، وتسامع الناس وكثروا ، وسمعَ السلطان بكثرة الناس ، فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطةَ وأصحاب الأخبار ، ثم أُغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع والمساجد، حتى تعطل بعض الباعة ، وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وطُرَر الحاكة(١) ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب ، وجاءه حاجبُ ابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك ، فقال : هذا مما أكرهُ ، وأميرُ المؤمنين أعفاني مما أكره ، وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر ، والبُرُد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه ، وجعلوا يبكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم ، فلم يؤذن لهم ، ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشهق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خديه ، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال : ادعوا لي الصبيان ، بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضمون إليه ، وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، [فقال له رجل : لا تغتم لهم يا أبا عبد الله ، فأشار بيده ، فظننا أن معناه : أني لم أُرِد هذا المعنى ، وكان يصلي قاعداً ، ويصلي وهو مضطجع، لايكاد يفتر ، ويرفع يديه في إيماء الركوع] وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دماً عبيطاً ليس فيه بول ، فقلت للطبيب ، فقال : هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه ، واشتدت عليه يوم الخميس، ووضأته،

(١) الطرر : جمع طرة : اسم الشيء المقطوع وطرف كل شيء وحرفه ، وطرر الثوب : عمل له طرة : أى حاشية ، وطرة المرأة : نحرتها أى قصتها جمع طرر ، وطرار ، والمقصود هنا : أطراف دكاكينهم .

فقال : خلل الأصابع ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل ، وقبض صدر النهار ، فصاح الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع .

وقال أبو بكر الخلال : أخبرني عصمة بن عصام حدثنا حنبل قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبدالله وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النبي صلى الله عليه ، فأوصى عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل به ذلك عند موته .

وقال حنبل : توفي يوم الجمعة في ربيع الأول .

وقال مُطَيَّن[1] : في ثاني عشر ربيع الأول . وكذلك قال عبد الله بن أحمد وعباس الدُّوري .

وقال البخاري : مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

قلت : غلط ابنُ قانع وغيره فقالوا : في ربيع الآخر . فليعرف ذلك .

وقال الخلال : حدثنا المرّوذي قال : أخرجت الجنازة بعد منصرف الناس من الجمعة .

قلت : وقد روى الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو عامر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عَمرٍو عن النبي صلى الله عليه قال : ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر[2] .

---

(١) مطين : بضم وفتح وتشديد الياء أحد الحفاظ ، والأذكياء الأيقاظ . صنف المسانيد ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : سمعنا منه أحاديث ومسائل عن أبى عبد الله حسانا جيادا .

وقال صالح : وجّه ابنُ طـاهر ، يعني نائبَ بغداد ، بحاجبه مظفر ومعه غلامين[١] معهما مناديل فيها ثياب وطيب ، فقالوا : الأمير يقرئك السلام ويقول : قد فعلتُ ما لو كان أميرُ المؤمنين حاضرَه كان يفعل ذلك ، فقلت : أقرئ الأمير السلامَ ، وقل له : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره ، ولا أُحب أن أُتبِعَه بعد موته بما كان يكرهه في حياته ، فعاد وقال : يكون شِعارَه ، فأعدتُ عليه مثلَ ذلك . وقد كان غَزَلت له الجارية ثوباً عُشاريًا قُوّم بثمانية وعشرين درهماً ليَقْطع منه قميصين ، فقطعنا له لفافتين ، وأخذ منه فوران لفافةً أخرى[٢] ، فأدرجناه في ثلاث لفائف ، واشترينا له حَنُوطـاً ، وفُرغ من غسله وكفنّاه ، وحضر نحوُ مائةٍ من بنى هاشم ونحن نكفّنه ، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

وقال عبد الله بن أحمد : صلى على أبي محمدُ بن عبد الله بن طاهر ، غلبنَا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار .

وقال صالح : وجه ابن طاهر : من يصلّي عليه ؟ قلت : أنا ، فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابنُ طاهر واقف ، فخطا إلينا خطوات ، وعزّانا ، ووُضع السرير ، فلما انتظرت هُنَيَّةً تقدمتُ وجعلتُ أسوّي صفوفَ الناس ، فجاءني ابن طاهر ، فقبض هذا على يدي ، ومحمد بن نصر على[٣] يدي ، وقالوا : الأمير ! فمانعتهم ، فنَحيّاني وصلّى ، ولم يعلم الناسُ بذلك ، فلما كان من الغد علم الناسُ فجعلوا يجيؤون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر .

(٢) اسناده ضعيف لانقطاعه . وقال الترمذى : حديث غريب ، وليس اسناده بمتصل . ربيعة بن سيف انما يروى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبدالله بن عمرو ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعا من عبد الله بن عمرو . وقال السيوطى : « أخرجه أحمد ، وابن أبى الدنيا » انظر الترمذى ٢ / ١٦٤ .

وقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله : طوبى لك يا محمد ، صليتَ على أحمد بن حنبل رحمتُ الله عليه .

وقال أبو بكر الخلال : سمعت عبد الوهاب الورّاق يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام مثلُه ، حتى بلغَنا أن الموضع مُسح وحُزر على الصحيح ، فإذا هو نحو من ألف ألفٍ ، وحزَرنا على القبور نحوًا من ستين ألف امرأة ، وفتح الناس أبوابَ المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء .

وروى عبد الله بن إسحق البغوي : أن بُنَانَ بن أحمد القصباني أخبره أنه حضر جنازة أحمد ، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة ، وحزر من حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة ، ونظروا فيمن صلى العصر في مسجد الرصافة ، فكانوا نيفاً وعشرين ألفاً .

وقال موسى بن هرون الحافظ : يقال إن أحمد لمامات مُسحَت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها ، فحُزِر مقاديرُ الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة ، أكثر من ألف ألف .

وقال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري : حدثني فتح بن الحجاج قال : سمعت في دار الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر : أن الأمير بعث عشرين رجلاً فحَزَروا كم صَلّى على أحمد بن حنبل ؟ فحزروا ، فبلغوا ألف ألف وثمانين ألفاً ، سوى من كان في السفن في الماء .

ورواها خُشْنَام (١) بن سعد ، فقال : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زُرعة يقول : بلغني أن المتوكل أمر أن يُمْسَح

---

(١) في الأصل « خشنام بن سعيد » وصححناه من طبقات الحنابلة ، وفي ابن الجوزي ٤١٦ « محمد بن خشنام بن سعد » ، والراجح أنه خطأ .

للموضعُ الذي وقف عليه الناس ، حيث صُلِّي على أحمد ، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مائة .

وقال البيهقي : بلغني عن البغوي ، أن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر أن تُحْزَر الخلق الذي في جنازة أحمد ، فاتفقوا على سبعمائة ألف .

وقال أبو همام الوليد بن شجاع : حضرت جنازة شريك ، وجنازة أبي بكر بن عياش ، ورأيت حضور الناس ، فما رَأَيتُ جمعاً قط شبيه هذا ، يعني في جنازة أحمد .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع الدارقطني فلما نظر إلى الجمع قال : سمعت أبا سهل بن زياد ، سمعت عبد الله بن أحمد بن سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا و بينكم الجنائز [1] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو بكر محمد بن العباس المكي . سمعت الوركاني جار أحمد بن حنبل يقول : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس . وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس .

وفي لفظ عن ابن أبي حاتم : عشرة آلاف .

وهي حكاية منكَرة ، لا أعلم رواها أحد إلا هذا الوركاني ، ولا عنه إلا محمد بن العباس ، تفرد بها ابن أبي حاتم .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في التاريخ ١٠ : ٣٤٢ : « وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فإنه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا ، لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه ، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان ، وكذلك الحرث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس ، وكذلك بشر بن غياث المريسي ، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فلله الأمر من قبل ومن بعد » .

والعقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد ، ولا ينقله جماعة تنعقد هِمَمُهم ودَوَاعيهم على نقل ما هو دون ذلك بكثير .

وكيف يقع مثل هذا الأمر الكبير ولا يذكره المرّوذي ، ولا صالح بن أحمد ، ولا عبد الله بن أحمد ، ولا حنبل ، الذين حكَوْا من أخبار أبي عبدالله جزئياتٍ كثيرةً لا حاجة إلى ذكرها ، فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيماً ، ولكان ينبغي أن يرويه نحوٌ من عشرة أنفس .

وقد تركتُ كثيراً من الحكايات : إما لضعفها ، وإما لعدم الحاجة إليها ، وإما لطولها . .

ثم انكشف لي كذب الحكاية بأن أبا زُرْعة قال : كان الوركاني ، يعني محمد بن جعفر ، جارَ أحمد بن حنبل ، وكان يرضاه ، وقال ابن سعد وعبد الله بنُ أحمد وموسى بن هرون : مات الوَرْكاني في رمضان سنة ثمان وعشرين ومائتين(١) . فظهر لك بهذا أنه مات قبل أحمد بدهرٍ ! فكيف يحكي يوم جنازة أحمد رحمه الله ؟!

قال صالح بن أحمد : جاء كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي إلى ابن طاهر يأمره بتعزيتنا ، ويأمر بحمل الكتب ، فحملتها ، وقلتُ : إنها لنا سماعٌ ، فتكونُ في أيدينا وتنسخ عندنا ، فقال : أقول لأمير المؤمنين ، فلم نزل ندافع الأمير ، ولم تخرج عن أيدينا ، والحمد لله .

وقد جمع مناقبَ أبي عبدالله غيرُ واحد ، منهم أبو بكر البيهقي في مجلد ، ومنهم أبو إسمعيل الأنصاري في مجلدين ، ومنهم أبو الفرج بن الجوزي في مجلد . والله تعالى يرضى عنه ويرحمه .

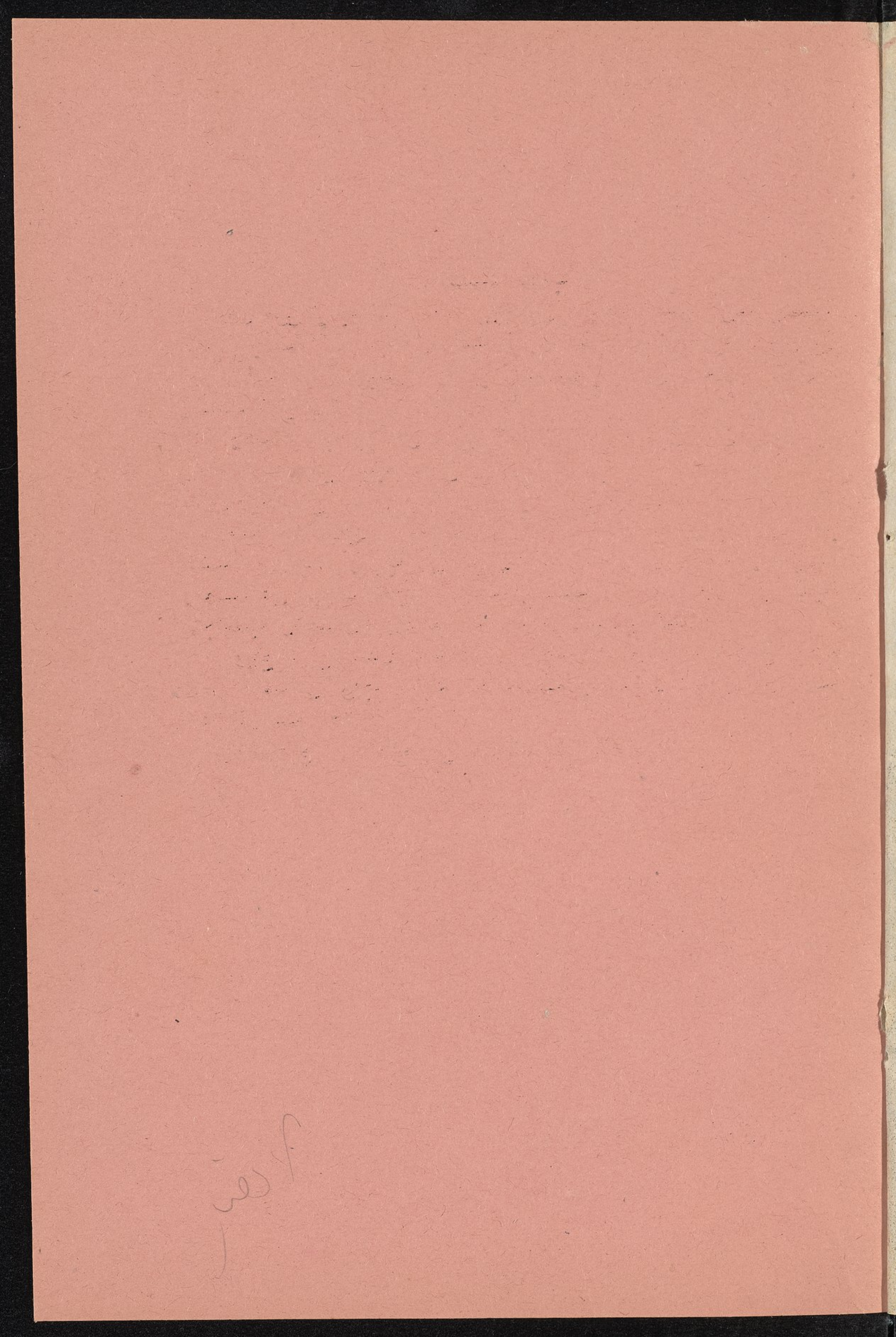
---

(١) وكذلك أرخ وفاته الخطيب في تاريخ بغداد (٢ : ١١٦ — ١١٨) والسمعاني في الأنساب (ورقة ٥٨١ ب) .

مصادر أخر لترجمة الامام أحمد
من الكتب المطبوعة

التاريخ الكبير للبخارى ج اقسم ٢ ص ٦
التاريخ الصغير للبخارى ٢/ ٣٧٥ طبعة دار الوعى ـ حلب
الفهرست لابن النديم ٣٢٠
حليـة الأوليـاء لأبى نعيم ٩ : ١٦١ ـ ٢٣٣
تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٤١٢ ـ ٤٢٣ (وذكر انه أفرد مناقب الامام فى كتاب خاص)
مختصر طبقات الحنابلة لأبن أبى يعلى ٣ ـ ١١
مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٨ ـ ٤٨
مناقب أحمد لابن الجوزى ، مجلد خاص فى ٥٤٤ صفحة
صفة الصفوة لأبن الجوزى ٢ : ٣٣٦ ـ ٣٥٩ طبعة دار الوعى بحلب
تاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨
وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٠ ـ ٢١
تذكرة الحفاظ للذهبى ٢ : ١٧ ـ ١٨
طبقات الشافعية لابن السبكى ٢/ ٢٧ ـ ٦٣ /ط/عيسى الحلبى
تاريخ الحافظ ابن كثير ١٠ : ٣٢٥ـ ٣٤٣
طرح التثريب للعراقى ١ : ٣١ ـ ٣٢
تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ١ : ٧٢ ـ ٧٦
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٦
مفتاح السعادة لطاشكبرى زادة ٢ : ٣٩ ـ ٤٨
شذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٩٦ ـ ٩٨
ابن حنبل : محمد أبو زهـرة
رجال الفكر والدعوة فى الاسلام للندوى ط الكويت ١١٤ ـ ١٤٥
ابن حنبل تاليف محمد رجب البيومى
أحمد بن حنبل امام أهل السنة : عبد الحليم الجندى
الامام الممتحن : محمد البيى الخولى .
الائمـة الأربعة : د . أحمد الشرباصى
الامام الممتحن : محمد البهى الخولى .
أحمد بو حنبل والمحنة : ترجمة عبد العزيز عبد الحق

المحتــوى



هــذا الكتاب

من خير تراجم الامام أحمد بن حنبل ، ولعله أحسن تعريف بهــذا الامام المجاهد : امام أهل السنة ، وما أصابه من تعـذيب وتنكيل بين يدى خلفاء بنى العباس ، وصبره ومصـابرته حتى علت راية الحق ، وسلمت العقيدة ٠

وهذا الكتاب جزء من تاريخ الاسلام الكبير للذهبى الذى نال شهرة واسعة ، لأنه أكبر كتب التاريخ وأوثقها وأتقنها ، ألفه حافظ مدقق ثقة ، تناول فيه تاريخ الاسلام بدءا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصحابة ، فالتابعين ، فالمحدثين والفقهاء ، والأدباء والمؤرخين الى آخر السنة ٧٠٠ هـ ٠ ومرتبا على سبعين طبقة تشمل كل طبقة عشر سنين ، ومصنفا على حروف المعجم ٠ فجاء شـاملا جامعا لكل مناحى الحياة الاجتماعية والحضارية والاقتصادية للدولة الاسلامية آنئذ ٠

ويقع تاريخ الاسلام مخطوطا فى واحد وعشرين مجلدا ، وتقع ترجمة الامام أحمد فى تراجم الطبقة الخامســة والعشرون المتوفون من سـنة ٢٤١ الى سنة ٢٥٠ ٠

وقد طبع من الكتاب أربع مجلدات حتى الآن ٠

أ

